بسم الله الرحمن الرحيم

شرح متن ستة مواضع من السيرة

الموضع الأول

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – تأمل – رحمك الله تعالى – ستة مواضع من السيرة كما ينبغي ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه ، فإن كثيرا ممن يدعي الدين ويعد من الموحدين لا يفهم هذه الستة كما ينبغي.

الموضوع الأول: { قصة نزول الوحي} على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وفيها أن أول آية أرسله الله بها : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ) الى قوله : (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) . فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان ، مثل: الزنا وغيره ، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون أشياء كثيرة من العبادات يتقربون بها إلى الله ، مثل: الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك ، وأعظمها عندهم الشرك ، فهو أعظم ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا : { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ، ويقولون: (هؤلاء شفعاؤنا عند الله } وقال تعالى : (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) .

فأول ما أمر الله بالإنذار عنه ، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغير ذلك هو هذه العبادات ، وعرفت أن منهم من تعلق على الصالحين والملائكة والأولياء والأصنام ،ويقولون : ما نريد إلا شفاعتهم! ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها .

فإذا أحكمت هذه المسألة الأولى فيا بشراك . . .

خصوصاً إن عرفت أن ما في الإسلام بعدها أعظم من الصلوات الخمس ، ولم تفرض إلا ليلة المعراج – سنة عشر ، بعد حصار الشعب ، وبعد موت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين – فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة الكبيرة والعداوة البالغة . . . كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة بحول الله.

أقول : هذه الرسالة الصغيرة للإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - عنوانها **ستة مواضيع من السيرة** ، والذى يظهر أن هذا العنوان اجتهاد من النساخ وأن العنوان الصحيح للرسالة **ستة مواضع من السيرة** لأن الرسالة تدور حول موضوع واحد وهو أهمية الصدع بتوحيد الله سبحانه وتعالى والبراءة من الكفر وأهله ، موضوع واحد تدور عليه هذه المواضع التي أوردها الإمام محمد بن عبد الوهاب في هذه الرسالة

ولنا قبل الدخول في هذه المواضع وقفات سريعة :

الوقفة الأولى : يلاحظ الناظر في رسائل الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - تنوع الأساليب لديه في تقرير دعوته ، فهو تارة يكتب كتاب عبارة عن آيات وأحاديث على أبواب التوحيد وسماه كتاب

التوحيد ، وتارة يكتب كتاب يذكر فيه مسائل الجاهلية لينبه الناس إلى عدم التشبه بأمور الجاهلية ، وتارة يكتب كتاب عبارة عن سؤال وجواب في تلقين العقيدة ، والآن هنا ترونه يوظف مواضيع السيرة لتقرير دعوة التوحيد ومقصود هذه الوقفة بيان شدة اهتمام الإمام - رحمه الله - محمد بن عبد الوهاب في تقرير التوحيد وتقديم مثال للدعاة إلى شرع سبحانه وتعالى أن قضية الدعوة ممكن للداعية أن ينوع فيها أساليبه في حدود الوارد عن رسول الله ﷺ وله أن يوظف كل ما ورد في تقرير الحق ، كما ترون الإمام هنا يوظف مواضع من السيرة في تقرير هذه الدعوة التي يدعوا إليها وهى دعوة التوحيد وإخلاص العبادة لله رب العالمين

الوقفة الثانية : فيه بيان **الفرق بين السيرة والشمائل** والفرق يسير فإن **السيرة ترصد حدثا والشمائل ترصد خلقا** فأنت حينما تتكلم عن سيرة الرسول ﷺ إنما ترصد أيام الرسول ﷺ والأحداث التى مرت به وغزواته وما كان به فأنت ترصد أحداثا وحينما تتكلم عن الشمائل فأنت تتكلم عن أخلاقه ﷺ وأوصافه ﷺ والسيرة من السنة بهذه النظرة أنك تروى ما جاء فى هذا الباب وتروى ما جاء فى هذا الباب وتروى ما جاء فى هذا الباب وخصوصيتها فى جهة أنها ترصد الأحداث بخلاف السنة فإنها ترصد الاحداث وترصد الأقوال وترصد الأفعال وترصد التقريرات ولذلك الإمام البخارى سمى كتابه **الجامع المختصر الصحيح لسنن الرسول ﷺ وأيامه وغزواته وسفره** .. الخ العنوان الذى ذكره - رحمه الله - إذن السيرة ترصد أحداث والشمائل ترصد أوصاف

الوقفة الثالثة : من أحسن الطرق فى مناقشة المخالف فى مسائل تتعلق بالشرع ، الرجوع إلى مواضيع السيرة لماذا ؟ لأن السيرة النبوية تطبيق عملى لسنته ﷺ فإذا قرأت آية أو قرأت حديث أو تعلمت مسألة وما عرفت كيف تطبيقها ستجد تطبيقها فى السيرة النبوية ، يعنى مثلا على سبيل المثال : ما هو الموقف الصحيح فى التعامل مع الكفار ؟ هل يجوز أن نجيب دعوتهم ؟ هل يجوز أن يجلسوا فى مجالسنا ؟ هل يجوز أن يختلطوا بنا فى البيع والشراء ؟ تجد نصوص وأحاديث لكن أقول لك اترك هذا وتعال إلى سيرة الرسول ﷺ تجد أن رسول الله ﷺ كان يسمح لليهود أن يجلسوا معه فى المجلس حتى أنهم كانوا يتعاطسون يرغبون فى أن يشمتهم الرسول ﷺ ويقول يرحمكم الله فكان يقول بدلا منها يهديكم الله ، كان له خادم يهودى ، كان لا يرد الدعوة إلى طعام إذا جاءته من يهودى أو يهوديه ، حتى إن اليهودية التى فى خيبر التى دعته إلى شاة مسمومة تسببت فى موته ﷺ فإنه ﷺ فى آخر أيامه استشعر وجع ذلك السم وقال : " ما أرى إلا أن الأكلة التى أكلتها فى خيبر قد عاودتنى وهذا أوان انقطاع أظهرى " ، والأظهر : العرق الذى يكون فى الظهر متصلا بالرقبة يمد الجسد بالحياة وهو من أقوى العروق التى فى بنى آدم التى تعطيه القوة قال : " هذا أوان انقطاع أظهرى " فمات رسول الله ﷺ متأثرا بسم تلك الشاة المسمومة التى دعته إليها يهودية ، مات رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى ، هذه مواضع من السيرة لا أحد يستطيع يجادلك فيها ولا يأخذ معاك ولا يعطى وهى تطبيق عملى للباب انتهى إذن

أول ميزة للسيرة النبوية : أنها تطبيق عملى لسنة الرسول ﷺ ما هى محل للرد والأخذ هى محل لبيان صحة المعنى المعين فى تطبيق فهم حديث الرسول ﷺ هذه أول ميزة فيها

ثانى ميزة فى سيرة الرسول ﷺ : أن السيرة عادة اسلوب قصصى والأسلوب القصصى أسلوب محبب قريب للنفس يفهمه حتى العوام يعنى ممكن تلاقى إنسان عامى ما يحسن فهم الدليل ولا يحسن فهم الآية ولا الحديث لكنه يعرف مواضع من السيرة النبوية فإذا خاطبته بالسيرة النبوية فهم واستوعب وقبل لأنه يعلمها وهى مواضيع قصصية محببة للنفس

الأمر الثالث : أن المواضيع الأساسية فى السيرة ثابتة مشهورة ليست بحاجة إلى الأسانيد يعنى حينما نذكر مثلا قصة بدر أن الرسول ﷺ قاتل الكفار فى بدر وأن سبب المعركة كذا ، قصة صلح الحديبية هذه مشهورة متداولة لا تحتاج إلى بحث إسنادى ، بخلاف لما تأتى تستدل لمخالف بحديث فإنه ينازعك فى ثبوته بينما مواضيع السيرة العامة لا تحتاج إلى ثبوت لأنها مشهورة متداولة متلقاه معروفة بين أمة المسلمين

الأمر الرابع فى مزايا السيرة النبوية والاستدلال بها : أن السيرة النبوية لا يدخل فيها محكم ومتشابه ، تطبيق عملى ما يدخل المحكم ولا المتشابه بخلاف النصوص ، أنت ممكن تتناقش مع شخص فى مسألة الولاء والبراء ويتعبك حتى تقرر له أن استدلاله من باب المتشابه ، لكن حينما تأتى بواقعة من السيرة انتهى الموضوع ما يستطيع أن يفعل شيئًا ونحن جربناها يعنى خذوا عن تجربة نحن جربنا هذا ، لما تتناقش معهم فى أن هذه الآية أو هذا الحديث محكم أو متشابه يطول الكلام لكن حينما تقول له أنا لا أناقشك فى النص لكن تعال هذه سيرة الرسول ﷺ فى باب الولاء والبراء كان الرسول ﷺ يفعل كذا تنكر هذا ؟ يقول لا ، كان الرسول ﷺ يفعل كذا تنكر هذا ؟ يقول لا ، نقول له طيب هذا الذى نريده ، ولذلك يعتبر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - فى اختياره مواضع من السيرة لتقرير أمور الدعوة بالذات قضية التوحيد والولاء والبراء يعتبر فى هذا من أهل الذكاء الكبير - رحمه الله - ومن أهل الدراية بكيفية المجادلة وبكيفية تقرير الحق وتبليغه وإيصاله إلى الناس فهذه الرسالة دليل على هذا الأمر ولم يطيل الأمر

وهذه الوقفة الأخيرة : أنه أتى بها مختصرة لم يطيلها مع انه كان ممكن يكثر اكتفى فقط بستة مواضع من السيرة النبوية فى تقرير هذا الأمر الذى يدعو إليه ستة مواضع فقط كان ممكن يطيلها كان ممكن يجعلها كتاب كبير ويأتى بمواقف كثيرة من السيرة تؤيد الكلام الذى يريد الدعوة إليه ويريد بيانه وتقريره ، ولكنه قصر الرسالة على موضوع واحد وهو موضوع إخلاص العبادة لله وحده دون سواه والبراءة من المشركين والبراءة من الكفر وأهله ، وهذان الأمران هما أصل الدين فإن **الإسلام هو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله** هذا هو الإسلام وهذا الذى يدعو إليه الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ، ومن الأمور العجيبة التى تلاحظها وأنت تقرأ هذه الرسالة كأن

الإمام يرد على أناس معاصرين اليوم ، كم مرة سمعتم من يزهد فى أمور التوحيد ويقول يا أخى خلاص أنت رجعتنا بس توحيد وإخلاص يا أخى الناس الآن يواجهون مشكلة مع الليبرالية يواجهون مشكلة مع العلمانية يواجهون مشكلة مع الشيوعية يواجهون مشكلة مع الرأسمالية يا أخى أنت تتكلم الناس ليس عندهم مشكلة فى التوحيد المشكلة الآن فى كيف توزع الثروة هؤلاء الحكام الذين تسلطوا على رقاب الناس – هو هكذا يقول ما نقول مثل هذا الكلام – يأكلون أموالهم ويتكلم فى قضية توزيع الثروة .. الخ يجعل هذا هو الموضوع انه لا نحتاج إلى التوحيد يا أخى الكلام فى التوحيد وبالذات ما ورد عن الرسول ﷺ يا أخى هذا التوحيد الساذج الذى لا يوجد عند الناس اليوم لماذا تكلمنا فيه ؟ كلمنا فى المواضيع التى نحتاجها الآن أمام مواجهة الثقافة الأوروبية والعولمة ، يزهد فى موضوع التوحيد ، تجد آخر يتكلم يقول يا أخى إلى متى لا ترضى أن تفهم ؟ نحن الآن نعيش فى قرية صغيرة لا نستطيع أن نتعامل مع الناس أن هذا كافر وهذا مسلم لا نستطيع أن نعلن ما تريده أنت من قضية البراءة من الكفر وأهله يا أخى نحن إذا فعلنا هذا ذهبت مصالحنا وتعثرت أمورنا ، الإمام فى هذه الرسالة يرد على هؤلاء

أول موضع يورده فى هذه الرسالة يقول ما معناه : بعث الله رسوله ﷺ بالرسالة والإنذار بقوله تعالى " يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر " فأمره بالنذارة من الشرك ودعوة الناس إلى التوحيد **علما بأن** المجتمع كان يسود فيه الربا والزنا وقتل النفس التى حرم الله وفيه من الذنوب والمعاصى والكبائر الشئ الكثير ، المجتمع فيه خطايا كثيرة وأشياء كثيرة ، لم يأمر الله عز وجل رسوله ﷺ بالبلاغ بأى شئ من هذه الأمور ، بدأ بماذا ؟ بالتوحيد ، المجتمع فيه زنا فيه قتل النفس التى حرم الله فيه وأد البنات فيه أكل مال الناس بالباطل فيه الظلم فيه العرى حول الكعبة فيه الخمر فيه الربا فيه البيوع المحرمة فيه وفيه وفيه ، ما بدأ الرسول ﷺ بشئ ولم يؤمر الرسول ﷺ بشئ من هذا جميعا ، بل أزيدك من الشعر بيتا - كما يقولون - استمرت هذه الدعوة على هذا المنوال كم سنة ؟ ثلاثة عشر سنة طوال العهد المكي ، فأين هؤلاء الدعاة الذين يزهدون فى التوحيد ويزهدون فى تعليم الناس إخلاص العبادة لله وحده دون سواه الذين يزهدون فى أن نمكث نعلم الناس كيف يوحدوا الله ويعبدونه وحده دون سواه ونحقق دعوة الأنبياء ، أين هؤلاء الذين زهدوا فى التوحيد ؟ أين هؤلاء الذين يقولون إن المجتمع اليوم بحاجة إلى توزيع الثروة وتساوي الناس فى الفرص المتاحة للحكم وللناس أين هم ؟ قريش علمت هذا وجاءت تراود الرسول ﷺ إن كنت تريد حكم إن كنت تريد كذا ما فعل ، وبقى على دعوته وحده الدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده دون سواه إذن الموضوع وإن كان كتبه الشيخ فى زمنه قبل ثلاثة قرون إلا أنه موضوع من موضوعات الساعة – سبحان الله –

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى – تأمل – رحمك الله تعالى – ستة مواضع من السيرة كما ينبغي ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه ، فإن كثيرا ممن يدعي الدين ويعد من الموحدين لا يفهم هذه الستة كما ينبغي.

قال : **تأمل** يعنى أنظر بتفكر وبتدبر وبتأنى فى هذه المواضع هذا ليس موضوع يطرح سريعًا ويُقرأ سريعًا لا ، هذا موضوع مهم عليك أن تتأنى فى تفهمه وفى تأمله وأن تحسن فيه الفهم والمعرفة والنظر والتدقيق

لعل الله يفهمك دين الأنبياء : ما هو دين الأنبياء ؟ يقول الرسول ﷺ " الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد " صححه الإمام الألبانى فى السلسلة الصحيحة

ما هو دين الأنبياء الواحد ؟ " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " هذا دين الأنبياء ، ديننا واحد " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " ما من نبى بعث إلى قومه إلا وكان فى قومه من المساوئ والأخطاء مثل ما فى قريش وأكثر ، أمة ما فيها إلا السحر أمة ما فيها إلا التطفيف فى الميزان .. الخ مع ذلك كل الأنبياء دعوتهم واحدة " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " هذا الدين الواحد هذا دين الأنبياء ، ولذلك كم مرة ننبه وينبه أهل العلم ونحن تبع لهم ومن طلبتهم نقول : أى داعية يدعو الناس ولا يجعل محور دعوته توحيد الله وإخلاص العبادة لله وحده دون سواه فقد خرج عن طريقة الأنبياء فى الدعوة ، وهذا الأمر من المحاور التى تبين لكم الأحزاب والطرق والجماعات التى خرجت عن طريقة الأنبياء شاءت أم أبت فالدعوة التى تقوم على توزيع الثروة أنه هو المبدأ الأساسى لها ، والدعوة التى تقوم على مبدأ الوصول للحكم وأنه المبدأ الأساسى لها ، والدعوة التى تقوم على مبدأ إصلاح المجتمع وأن هذا هو المبدأ الأساسى لها دون النظر لموضوع التوحيد كل هذه خرجت عن طريق الأنبياء ، دين الأنبياء يقوم على توحيد العبادة لله وحده دون سواه " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " هذا دين الأنبياء

قال : **لعل الله أن يفهمك دين الأنبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه** : أى البراءة من الشرك وأهله ابتعد عن الشرك وعن أهله **فإن أكثر من يدعى الدين ويُدعى من الموحدين لا يفهم هذه الستة** كثر من الناس اليوم يقول لا إله الا الله محمد رسول الله ويصلى ويصوم لكنه لا يفهم أصل الدين يفعل هذا كله ويأتى مثلا يطوف بالقبر ويسأل صاحب القبر يصلى ويصوم ويأتى مثلا يقول يا أخى ما فى داعى أن تخرج الدين عن المسجد اترك دينك وعبادتك بينك وبين ربك أما فى الحياة فخذ بالمدنية وخذ بالحضارة يصلى ويصوم ويأتى يقول هذا الدين هو التراث أنا أرجع له حينما أريد أن أعرف كيف أصلى وكيف أصوم لكن فى أمور حياتى اليومية أنا لا أحتاج هذا التراث أحتاج المدنية والحضارة التى وصلت إليها أوروبا وأمريكا فأنا أحتاج أن أرجع إليهم لأعرف كيف يديرون حياتهم لأصنع مثل ما صنعوا ، هذا بالله ما ينافى أصل التوحيد ؟ هذا ينافى أصل التوحيد ، فهو يدعى الدين ويدعى أنه من الموحدين ثم هو يأتى بخلاف هذا

وستجدون أن كفار قريش فهموا الدين وفهموا الدعوة أحسن من فهم بعض من يسمى اليوم بأنه من المسلمين ، لما سمعوا كلام الرسول ﷺ قالوا " أجعل الآلهة إلها واحدًا " ؟! فهموا هذا ، لما صارت بعض الأمور معهم فى مواجهات مع الرسول ﷺ وقفوا وواجهوا لأنهم فهموا ما هو مرمى ومقصد هذه الدعوة التى جاء بها الرسول ﷺ بينما بعض الناس اليوم يردد الآيات نفسها ويقرأ الأحاديث نفسها ويقوم يصلى ومع ذلك قد يظهر من كلامه أو من لسانه ما قد يؤدى به إلى الخروج من الدين والملة وهذه فاجعة من الفواجع يمكن الناس لا يتصورون مثل هذه الأمور

الموطن الأول : قال : **قصة نزول الوحى وفيها أن أول آية أرسله الله بها " يا أيها المدثر * قم فأنذر " إلى قوله " ولربك فاصبر "** قصة نزول الوحى أول ما بدأ بالرسول ﷺ بنزول الوحى نزل عليه جبريل ﷺ بـ " اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم " هذه أول آية نزلت لكن الرسول ﷺ بنزول هذه السورة أو الشطر الأول من هذه السورة هل أرسل أو نبئ ؟ نبئ ، إذن أول سورة نزلت على الرسول ﷺ بلغ بها إلى درجة النبوة هى سورة اقرأ ، وجاء فى الحديث أن أول سورة نزلت على الرسول ﷺ " يا أيها المدثر " وكلها صحيحة كيف نوفق بين الحديثين ؟ نقول : لا معارضة فأول سورة نُبئ بها الرسول ﷺ سورة اقرأ ، فهى أول ما نزل فى النبوءة وأول سورة أرسل فيها الرسول ﷺ وأمر بالنذارة هى سورة المدثر فسورة المدثر أول ما نزل فى الرسالة لذلك انظروا عبارة الإمام إلى أى مدى هى دقيقة — رحمه الله - ؟ قال : **قصة نزول الوحى وفيها أن أول آية أرسله الله بها** ، إذن هو يتكلم عن أولية مطلقة أم مخصوصة ؟ أولية فى الإرسال ، إذن كلام الإمام لا يخالف ما ثبت فى أن أول ما نزل على رسول الله ﷺ وهو أول ما نبئ به ﷺ وهى الأولية المطلقة هى نزول شطر سورة العلق

يقول : **فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان مثل الزنا وعرفت أيضا أنهم يفعلون شيئا من العبادة يتقربون بها إلى الله مثل الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك وأجلّها عندهم الشرك فهو أجل ما يتقربون به إلى الله تعالى عندهم كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " " ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله " وقال تعالى " إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون " فأول ما أمر الله به الإنذار عنه قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء .. الخ**

أقول : هنا المصنف يقول لك : أول ما أرسل الرسول ﷺ بـ " يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر " إذن أمر الرسول ﷺ بالنذارة ، النذارة فى ماذا ؟ " وربك فكبر " النذارة فى أن يدعو الناس إلى عبادة الله وحده دون سواه ، فالمؤلف ماذا يقول ؟ يقول : مع أن قريش كان فيها أنواع من المعاصي والذنوب الشئ الكثير وهى تعرف أن هذه معاصي وذنوب بل حتى الشرك تعرف أن هذا شرك

فهم يصلون ويطوفون ويحجون ويلبون فيقولون [لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك] ويقولون " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " إذن هم يعرفون الشرك ويعرفون التوحيد ويعرفون أن هذا ظلم وعدوان ، الأمور التى يعرفونها بدليل حلف الفضول كان فى الإسلام ولا كان فى الجاهلية ؟ كان فى الجاهلية ، ماهو موضوعه ؟ موضوعه انهم اجتمعوا أن يتحالفوا ويتناصروا على أمر وهو رفع الظلم عن المظلوم وإعانة المحتاج هذا موضوع حلف الفضول وكان من أحلاف الجاهلية ويقول الرسول ﷺ " لقد شهدت مع عمومتى حلفًا فى دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لى به حُمر النعم ولو دعيت به فى الإسلام لأجبت " صححه الإمام الألبانى

وهذا الحلف يدل أنهم كانوا يعرفون أن هذا ظلم وأن هذا اعتداء وأن هذا لا يجوز كانوا يعرفون هذا وإلا لماذا يتحالفون ؟! إذا كان هذا الشئ عندهم مقرر ومشروع ومحبب وسائغ ؟! لماذا يتحالف على نصرة مظلوم ؟ ويعرفون النكاح الصحيح ويعرفون الأنكحة التى هى سفاح يعرفون هذا ويعرفون هذا ، يعرفون الزنا ويعرفون الزواج المباح ، يعرفون أنواع من الظلم والاعتداء ، يعرفون أن الربا أكل مال الناس يعرفون هذا مع هذا كله ، ما اهتم الرسول ﷺ فى دعوته كما أمره الله إلا بموضوع " وربك فكبر " إلا بموضوع النذارة فجاء إلى قريش مرة ﷺ " لما نزلت : وأنذر عشيرتك الأقربين صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : يا بني فهر يا بني عدي ، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال ﷺ : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ! فنزلت : " تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب " متفق عليه

صدع الرسول ﷺ بما أمر وقام وأنذر الناس ودعاهم إلى التوحيد وخوفهم من عذاب الله وأمرهم أن يتوجهوا إلى الله سبحانه وتعالى ، مقصود المؤلف أن الشرع ركز على التوحيد وإخلاص العبادة لله دون سواه دون غيرها من الأمور ، وهذا فيه درس للدعاة فيه درس لمن يتكلم اليوم أن يفهم أن موضوع التوحيد هو الأساس وهو الأصل وهو المحور التى تنطلق منه كل العبادات وكل الشعائر وكل الأخلاق وكل الأعمال التى يتحلى بها المسلم

غلط أنك تمسك الفرع وتترك الأصل غلط إنك تمسك تريد تعالج فى الناس — مصلح اجتماعى — تريد الناس أن يتزاوروا ويتحابوا وهم فى الأصل توحيد الله عندهم ضايع ، غلط انك تريد أن تعلم الناس كيف يحققوا مبدأ الشورى ومبدأ كذا وهم مضيعين التوحيد غلط انك تريد تعلم الناس كيف يصلوا إلى فرص متساوية فى الحكم وهم مضيعين التوحيد ، غلط انك تريد تعلم الناس كيف توزع الثروة والصح والخطأ فى ذلك وهم مضيعين التوحيد كل هذه الأمور تأتى بالتبع ، الأصل توحيد الله ، لماذا خلقنا الله ؟ خلقنا الله لنعبده ونوحده " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " هذا هو الموضوع

يقول المصنف : **وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ويقولون : ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالإنذار عنه فى أول آية أرسله الله بها**

هنا ماذا يريد أن يقول المصنف ؟ الآن المصنف وظف هذا الموقف من مواقف السيرة لأمرين :

الأمر الأول : سبق وهو البدء بموضوع التوحيد

الأمر الثانى : بعض الدعاة يقول يا أخى أنا أعرف ان الناس عندهم هذه المشاكل لكن أنا لا أريد أن أصادمهم لا أريد أن أقول لهم انتم مشركين ان أفعالكم هذه أفعال شرك أنا إن بدأت معهم بهذه الأمور سيتركوني ولا يسمعوا إلى ، يقول أنا إن بدأت أدعوهم أقول لهم اتركوا الطواف بالقبور اتركوا الصلاة إلى القبر اتركوا كذا يقول سيتركونى لا يقبلوا منى لأنهم يرون أنى حاربت دينهم وحاربت اعتقادهم ، فالشيخ ماذا يريد أن يقول فى هذا الموقف ؟ - النقطة الثانية منه - انه بدأ الرسول ﷺ بالتوحيد رغم ان هناك مشاكل أخرى موجودة عندهم

النقطة الثانية : أنه بدأ بالتوحيد مع أنه يعلم أنه سيصادمهم فى دعوته هذه فيما يعتقدون أنه الدين

فهو يقول — رحمه الله - **وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بنى آدم ويقولون : ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالإنذار عنه فى أول آية أرسله الله بها**

لم يقل من السياسية فى الدعوة أنى لا أبدأ بالتوحيد ، لم يقل انه من السياسة فى دعوى الناس انى لا أدخل معهم فى الأشياء التى يعدونها من باب العبادة والقربة ، لم يقل انه من الدبلوماسية فى الدعوة انى أبدأ معهم فى الأشياء الثانية البعيدة عن التوحيد ، لا ، بدأ بالتوحيد صادمهم فى ما هم يعتقدونه عرض نفسه معهم لمشاكلة من البداية لم يرضى أن يعطى الهوينة فى أمر الله وتوحيد الله وهذا خلاف ما عليه بعض الدعاة ، يدعى السياسة ويدعى الحنكة ويدعى الحكمة فيؤخر أمر التوحيد ويبعده ويقول اتركوهم أول شئ يحبونى ويرون أنى عندهم موضع قدوة ثم أدخل عليهم التوحيد ، لا ، الرسول ﷺ لم يصنع هذا الرسول ﷺ بدأ بالتوحيد مع علمه أن كفار قريش عندهم آثام وذنوب وخطايا أخرى مع ذلك بدأ بالتوحيد إشارة أن هذا هو الأهم وهو الأصل ، وبدأ بالتوحيد مع علمه أنهم يفعلون خلافه فإذا ما جاء وواجههم به صادمهم وهذا الذى حصل

فالداعى لابد أن يوطن نفسه أن موضوع التوحيد هو الأصل وهو الأساس وأنه لا يقبل المهادنة ، الآن كفار قريش جاؤوا وقالوا له يا مُحمد اعبد آلهتنا يوم ونعبد إلهك يوم لم يرضى هذا ليس صحيح " قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دين " انتهى ، موضوع مفاصلة موضوع براءة حاولوا فى الرسول ﷺ أن يغير ، أن يبدل ، ما بدل ﷺ إذن الإمام يريد فى هذه الوقفة أن يبين الأمر الثانى هذا

فهو يقول – رحمه الله – **فإن أحكمت هذه المسألة فيا بشراك خصوصًا إذا عرفت أن ما فى الإسلام بعدها أعظم من الصلوات الخمس ولم تُفرض إلا ليلة المعراج سنة عشر بعد حصار الشعب وبعد موت أبى طالب**

سنة عشر بعد حصار الشعب معناه ، المؤلف - رحمه الله - أخرج الثلاث سنوات التى كان الرسول ﷺ محاصرًا فيها فى الشعب وكذا تجدون عن ابن عباس قال " لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشر سنين " رواه البخاري فى الصحيح

طيب المعروف ان الرسول ﷺ مكث يدعو الناس كم سنة ؟ نقول أخرجوا سنوات الحصار ، أخرجوا السنوات الثلاث التى هى سنوات الحصار

يقول : **فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة رجوت أن تعرف المسألة**

يريد أن يقول المصنف – رحمه الله – انه لم يشتغل الرسول ﷺ فى دعوته فى العهد المكى إلا بتقرير هذه المسألة بالرغم من كل ما حف بها ، والذى حف بها أمران :

الأمر الأول : أن هناك ذنوب وخطايا ومعاصى أخرى ومع ذلك بدأ بالتوحيد

الأمر الثانى : أن هذه الدعوة إلى التوحيد ستجعله ﷺ يصادمهم مباشرة فيما يعتقدونه ويدينون به ، ومع ذلك بدأ بالنذارة به وهذا شأن الأنبياء وهذا شأن الدعاة و " لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم " ولذلك قريش بماذا وصفت محمد ﷺ ؟ قالت : يفرق بين الإبن وأبيه وبين الأخ وأخيه وبين الزوج وزوجته يفرق بينهم ، صدع ﷺ قالوا هو ساحر لأنه استطاع أن يفرق بين الناس ، قالوا هو ساحر لأنه استطاع أن يؤثر على الناس بما يقرؤه من قرآن ، قالوا هو ساحر لأنهم يرون الوحى عليه فيظنون نزول الوحى عليه كما يحصل مع السحرة من الأحوال أثناء تلبس الجن بهم وإخبارهم بما يدور وما يريدون وما يستنفع به بعضهم من بعض

إذا فهمت هذا الموضع ودلالاته على قضية التوحيد فيا بشراك ، لأن الأن بدأت تتصور طريقة دعوة الأنبياء فمحورها " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا " محورها على تقديم التوحيد وعبادة الله والبراءة من الشرك وأهله ، محورها على أن نبدأ به مهما حصل حتى ولو كان القوم الذين نريد أن نكلمهم هم على خلافه تمامًا كما صنع الرسول ﷺ

الموضع الثانى

الموضع الثاني :

[أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا ذلك واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح لهم بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة] : وقالوا : سفه أحلامنا ، وأعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى و أمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتماً .

فإذا عرفت هذه المسألة ، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له دين ولا إسلام – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء ، كما قال تعالى : (لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ . . . الآية) .

فإذا فهمت هذه فهماً حسنا جيداً ، عرفت أن الكثير من الذين يّدعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصّبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة ؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، ولم يجد لهم رخصة،ولو وجد رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه إذا أوذوا في الله إذاً، فكيف بغير ذلك ؟!

هذه الوقفة من المصنف - رحمه الله - لبيان النتيجة الحتمية للدعوة إلى التوحيد ، ما هى النتيجة الحتمية للدعوة إلى التوحيد ؟ عداوة الشرك وأهله ، من دعي إلى التوحيد من دعي إلى إخلاص العبادة لله وحده دون سواه النتيجة الحتمية لهذه الدعوة هي ماذا ؟ هي البراءة من الشرك وأهله ، فإذا ادعى انسان أنه موحد وأنه يدعو إلى طريقة الأنبياء ومع ذلك هو يوالى الكفار ولا يتبرأ منهم ولا يبتعد عنهم ولا يفرق بينه وبينهم ويجعل الأمر واحد والأمر سواسية ويقول هم إخواننا أو يقول نحن نتعامل معهم بدون إنكار أو بدون أى براءة مما هم عليه فإن هذا لم يفهم معنى التوحيد ، ويقول ان الرسول ﷺ كان أرحم الناس بالناس كان رحيمًا ﷺ

فلو كانت هناك رخصة أو كانت هناك مندوحة عن هذه المواجهة التى تنتج مثل هذه العداوة لفعلها رسول الله ﷺ ولكن الأمر لا رخصة فيه هو عزيمة من عزائم الله ، لابد من إظهار الدعوة لابد من إظهار التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده دون سواه ولابد من البراءة من الشرك وأهله ولابد من تسفيه هذه الشركيات التى تظهر

والسكوت عنها فى الدين ليس من السياسة وليس من الحكمة وليس من الدبلوماسية كما يقولون وليس من معاملة الناس الحسنة كما يزعمون ، بل السكوت عليها هو من المداهنة فى دين الله " ودوا لو تدهن فيدهنون "

ما هى **المداهنة** ؟ : **أن تترك شيئا من دين الله من أجلهم من أجل أن تقربهم إليك ، هذه المداهنة** ، والعلماء - رحمهم الله - يفرقون بين المداهنة وبين المداراة

فالمداراة : أن لا تواجه الشخص بأمر هو فيه يكره المواجهة به إنما تحسن استقباله وهكذا تكتفى شره وتتقى أذاه هذه مداراة بدون أن تتنازل عن شئ من دينك هذه جائزة وهذه التقية التى قال تعالى فيها " إلا أن تتقوا منهم تقاة " وهذه المداراة هى التى قالها الرسول وصنعها الرسول ﷺ " أن رجلًا استأذن على النبى ﷺ فلما رآه قال : بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه فلما انطلق الرجل قالت عائشة : يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا عائشة متى عهدتني فحاشا إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره " رواه البخارى فى الصحيح

وكان هذا الرجل كبيرًا فى قومه ، الرسول ﷺ داراه وأحسن استقباله حتى لا يترتب على غير ذلك شر ومفسدة بدون أن يتنازل عن شئ من الدين هذه هى المداراة

أما المداهنة فهى أن تترك شيئًا من الدين من أجل الناس ويا أسفاه لبعض الناس فإنه يترك أصل الدين من أجل الناس يترك أصل الدعوة من أجل الناس ، يترك الكلام فى التوحيد وإخلاص العبادة ويقول حتى لا يفجع الناس فيما هم عليه حتى يقبل الناس إليه ثم يكلمهم فى أمر الدين هذا من المداهنة المذمومة التى يريدها الكفار والمشركون ممن يدعوا إلى الله " ودوا لو تدهن فيدهنون "

فالداعية لابد أن يوطن نفسه أنه إذا دعي إلى التوحيد ، افهموا هذا بعض الناس يفهم قضية تعرض الداعية للأذى أنها قضية سائرة فى كل موضوع ، ولذلك أنا جلست مع بعض الدعاة ممن لهم شهرة فكان الكلام فى المجلس أن أى داعية يوطن نفسه على الأذى وكذا هو يفهم الموضوع هكذا ، لا الموضوع أن يوطن الداعية نفسه على الأذى إذا ما دعي إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله دون سواه " أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون " ؟! إذن القضية فى توطين الداعية نفسه للأذى إذا ما دعي إلى التوحيد ، ولذلك ترون كثير من الدعاة يدعون إلى أمور غير التوحيد لم يحصل لهم أذى لكن متى يحصل الأذى ؟ وبعض الناس قد يدعوا إلى أمور سيئة ليست هى من التوحيد إنما أمور يجتهد هو فيها ويظنها حق كقضية الحاكمية أو كقضية إنكار المنكرات العامة وهو بالتالى يترك طريقة السلف وطريقة أهل السنة والجماعة فى هذه الموضوعات فيتعرض لأذى فيقول هذا من الأذى الذى يتعرض له الدعاة نقول له لا ، هذا من الأذى الذى يتعرض له المخالفين للسنة هذا من تسليط الله سبحانه وتعالى على من خرج عن سنة الرسول ﷺ هذا أذى المخالفين للسنة يسلط الله عليهم من يؤذيهم هذا ليس من أذى الدعاة فى سبيل الله ، لا

لأن الموطن الصحيح الذى ذكرت فيه الآيات أن الداعى يتعرض فيه إلى الأذى هو إذا دعى إلى ماذا ؟ إلى توحيد الله ، فإذا ما رأيت الداعية يدعو إلى غير التوحيد وتعرض لأذى فاعلموا أن هذا من أذى مخالفته للسنة ليس هذا من أذى التوحيد ليس هذا من أذى الأنبياء ليس هذا ، الرسول ﷺ لو دعي

الناس إلى أمور أخرى غير التوحيد ما تعرضت له قريش ، قريش أهل عقل العرب كانوا أهل عقل مشهود لهم لو جاءهم بما فى الدين من الأخلاق وبما فى الدين من صلة الرحم وبما فى الدين من مساعدة المحتاج وبما فى الدين من رفع الظلم لقبلوه وما ءآذوه كانوا ءآذوه ؟ ما كانوا ءآذوه ، لكن الأذية التى حصلت والتى ذكرت والتى هى نتيجة دعوة الأنبياء لما دعي إلى التوحيد ، فإذا رأيتم داعية يقول أنه داعية ويتعرض للأذى وموضوع دعوته غير التوحيد فلا تظنوا أن هذه هى قضية الأذى التى يتعرض لها الدعاة إلى التوحيد

هذا الموضع من السيرة النبوية الذى أورده الإمام — رحمه الله — أورده لبيان أهمية البراءة من الكفر وأهله ، وأنه لا يسع من يقول أنه مسلم إلا أن يتبرأ من الكفر ومن أهله ، ألا ترى إلى الرسول ﷺ لما دعي كفار قريش إلى التوحيد الذى هو ضد الشرك وافقوه على ذلك فى أول الأمر ورأوا أن هذا الذى يدعوهم إليه أمر حسن إلى أن سمعوا الرسول ﷺ يدعو إلى ترك دعاء الأصنام وإلى نبذها وإلى أنها لا تضر ولا تنفع فقالوا إنه يسفه أحلامنا يعنى عقولنا انه يريد أن يخرجنا عن ما كان عليه أباؤنا فنابذوه العداء فلو كان يسع المسلم أن يسكت عن بيان حال الآلهة الكفرية لفعل ذلك الرسول ﷺ خاصة وقد لمس منهم فى أول الأمر اقبالًا عليه خاصة وأنه ﷺ أرحم الخلق بالخلق وهو يرى ما أصاب أصحابه من جراء ذلك فلو كان فى الأمر سعة لو كان فى الأمر مندوحة لفعله الرسول ﷺ

فهذا الموقف من مواقف الرسول ﷺ فى سيرته مع الكفار فى دعوته للكفار دليل أن البراءة من الكفر وأهله وإظهار فساد ما عليه أهل الجاهلية والكفر هو من أصل الدين وانه لا يسع المسلم إلا أن يفعل ذلك ، والكفار سموا ذلك شتمًا وسبًا لأن حقيقة الشتم والسب نسبة العيب والنقص إلى الشخص فلما قال رسول الله ﷺ هذه الآلهة لا تضر ولا تنفع لا تدعوها ، هذه لا يجوز أن يتوجه لها المسلم بشئ من العبادة هذه الأصنام ينبغى أن تكسر وينبغى أن تهدم وينبغى أن تسقط ، لما قال ذلك عدوا ذلك سبًا وشتمًا لآلهتهم ، لأنه نسب إليها العيب والنقص وعدوه شتمًا وسبًا لهم لأنه سفه أحلامهم سفه عقولهم وبين أنهم لا عقول لهم ، وإلا بربك أى عقل عند من إذا ضرب فى الأرض سفرًا اتخذ إلهًا من تمر فإذا جاع أكل إلهه أى عقل هذا ؟! أى عقل عند من يعبد خشبة فإذا ما احتاج إلى النار وضعها فى النار لكى يستدفئ بها أى عقل هذا ؟! أى عقل عند من يتوسل ويذبح للصنم لكي يدفع عنه هذا الحجر الأمر من الضر أو يجلب له الأمر من الخير أى عقل هذا ؟! وهو يعلم أن هذا الحجر ممكن أن يكسره ممكن أن يهوي ويسقط ويطيح وممكن وممكن .. الخ أى عقل هذا ؟! فلما جاء الرسول ﷺ يبين أن عبادة هذه الأصنام لا تجوز وانها لا تنفع ولا تضر وسفه أحلامهم وكشف زيف عقولهم عندها ارتدوا وابتعدوا عن الاستجابة للرسول ﷺ

فهذا الموقف من السيرة يفيد عدة فوائد :

الفائدة الأولي : بيان حقيقة الدين وأنه لا يقوم إلا بالبراءة من الكفر وأهله وهذا حقيقة الإسلام إذ **الإسلام هو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله**

الفائدة الثانية : أن المسلم لا يسعه إلا إظهار ذلك ، ما يمكن ، لو كان فى محل المجاملة والمداراة لدار الرسول ﷺ رحمة بالصحابة لكنه صدع بها وتحمل هو وأصحابه كل ما جاءه بسبب هذا الأمر ، لمَ ؟ لأن هذا هو أصل الدين ، لابد فيه من البراءة من الشرك وأهله

الفائدة الثالثة : أن البراءة من الشرك وأهله لا تقتضى المواجهة الدائمة بالعداء ، فأنت تبين أن هذا كفر وأن عبادة هذه لا تجوز وأن هذه الأمور تنافى الدين والتوحيد ولا يلزم من هذا مواجهة وقتال دائم مستمر أو سباب وشتائم دائمة مستمرة والدليل سيرة الرسول ﷺ فإننا لا نعرف الرسول أنه كان يدخل مع الكفار فى سباب وفى شتائم غاية ما فى الأمر أنه بين أن هذه لا تنفع ولا تضر وأن عبادتها تتنافى مع التوحيد الذى يدعو الله سبحانه وتعالى الناس اليه ، وهذا يبين خطأ فهم بعض الناس الذى فهم أن معنى البراءة من الكفر وأهله المواجهة الدائمة مع الكفار وأنك تكون معهم دائمًا فى سباب وفى شتائم وهذا خلاف سيرة الرسول ﷺ خلاف سيرته فى مكة وخلاف سيرته فى المدينة فإنه ﷺ فى المدينة كان يجالسه اليهود ، وكان إذا دعته يهودية إلى طعام أجاب ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودى ﷺ مع قيامه ﷺ بما تقتضيه الدعوة من بيان أن ما عليه اليهود كفر وأنهم كفار وأنهم من أهل النار وأنهم مخالفون للتوراة التى أنزلها الله سبحانه وتعالى ومع ما علمنا إياه الرسول ﷺ من أننا إذا مشينا مع يهود نضطرهم إلى أضيق الطريق و و .. الخ ومع ذلك هذا لم يمنعه ﷺ أن لا يجالسهم ويؤاكلهم بل وأباح لنا الشرع نكاح الكتابيات ، إذن لا تفهموا من معنى البراءة من الشرك وأهله والعداوة للشرك وأهله أننا نكون فى مواجهة وقتال دائم ، لا ، إنما معناه أن نقرر أن ما هم عليه باطل وأن لا نسكت عن بيان الحق فى ذلك وأننا نبين أنهم كفار وأن الإيمان والتوحيد يقتضى خلاف ما هم عليه ، إلى هذا الحد هذا معنى البراءة التى تكون بين المسلم وبين الكفار والرسول ﷺ انظروا إلى سيرته لما كان فى مكة ولما كان فى المدينة لا تجدون أكثر من هذه المعانى إذن نحن نقول هذا الموقف من مواقف السيرة فيه بيان أن الدين يقوم علي أصل البراءة من الكفر وأهله

الموضع الثاني :

[أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده وهو التوحيد لم يكرهوا ذلك واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح لهم بسب دينهم وتجهيل علمائهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة] : وقالوا : سفه أحلامنا ، وأعاب ديننا ، وشتم آلهتنا ، ومعلوم أنه ﷺ لم يشتم عيسى و أمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون ، جعلوا ذلك شتماً .

نقطة مهمة أيضًا : المعركة بين الأنبياء وبين أقوامهم فى توحيد الألوهية هم مقرون أن الله الذى يخلق وأن الله الذى يرزق وأن الله الذى ينزل المطر لكن المعركة في هل نفرده بالعبادة وحده دون سواه ؟ أو نشركه مع غيره ممن يعبدونهم ليقربونهم إلى الله زلفى بزعمهم هذا موضع المعركة ، ولذلك بعض الناس قد يتوهم أن التوحيد هو فقط قضية الربوبية فيدعو إلى أن تكون الأديان وأصحابها وحدة

واحدة وهذا باطل من القول وزورًا وبعض الناس ألف كتب على أن الإيمان هو مجرد الإيمان بأن الله موجود وأن الله يخلق وأن الله مدبر للكون وهذا ليس موضع المعركة بين المسلمين وبين الكافرين ليس موضع المعركة بين الأنبياء وبين أقوامهم ، ولذلك حينما تأتى إلى الكلام عن الألوهية يعدون هذا شتمًا وعيبًا وتنقصًا لآلهتهم ولعقولهم

يقول المصنف : **فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض**

معنى التصريح لهم بالعداوة والبغض هو ما ذكرته لكم قبل قليل كما فعله الرسول ﷺ هذه عبادة كفرية لا يجوز أن نصرف العبادة لغير الله لا يجوز أن نستغيث بهذا القبر لا يجوز أن نستغيث بهذا الصنم توجهكم لغير الله لا يجوز ينبغى لكم أن توحدوا الله وأن تعبدوه وحده دون سواه

قال : **كما قال تعالى " لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله "** فلا ود ولا محبة بين المؤمن والكافر فى هذه الأمور لا مداهنة " ودوا لو تدهن فيدهنون " ودوا لو تسكت عن هذا فيسكتوا هم عنك ، لا مداهنة بين المسلم وبين الكافر فى هذا ولا ود بين المسلم والكافر فى هذا الأمر

قال :

فإذا فهمت هذه فهماً حسنا جيداً ، عرفت أن الكثير من الذين يّدعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فما الذي حمل المسلمين على الصّبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة ؟ مع أن النبي صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، ولم يجد لهم رخصة،ولو وجد رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) فإذا كانت هذه الآية فيمن وافقهم بلسانه إذا أوذوا في الله إذاً، فكيف بغير ذلك ؟!

وهذا موضع مهم بعض الناس وبعض من ينتسب إلى الدعوة يسكت عن بيان التوحيد ، يسكت عن بيان العقيدة ، يسكت عن بيان أن ما يفعله هؤلاء الناس الذين يدعوهم شرك ، يقول أريد أن استألفهم أريد أن أقربهم لي ، هذا خطأ لو كان يسع الرسول ﷺ ذلك والصحابة ذلك لما تكلموا ولسكتوا ولكنهم تحملوا العذاب وتحملوا الأذى وتحملوا كل ما أصابهم فى سبيل إعلان البراءة من الكفر ومن أهله إعلان التوحيد

أبو ذر – رضى الله عنه - لما آمن قالوا له اكتم ذلك قال لا والله لأصدعن بها فخرج يصدع بها فتلقاه الكفار وضربوه وءآذوه حتى أغمى عليه

المسلم يصدع بالتوحيد لا مداهنة فى التوحيد ، لا مداهنة فى العقيدة ، الذين يؤخرون مسائل العقيدة ولا يعرضونها على الناس أو يرون أن الكلام فى مسائل التوحيد من المعلومات الساذجة التى لا يحتاجها الناس هؤلاء ما عرفوا حقيقة الدعوة إلى الله ما عرفوا حقيقة دعوة الأنبياء التى تقوم على أصل وهو أن يُعبد الله وحده لا شريك له والبراءة من الكفر وأهله لكن كما أن بيننا وبين الكفار مفاصلة بالبراءة منهم

كذا أيضًا بيننا وبين أصحاب الفكر المنحرف براءة من التفسير الذى يفسرون به معنى البراءة من الكفر وأهله فإن بعض الناس يظن أن معنى البراءة من الكفر وأهله إعلامهم ومواجهتهم الدائمة بالقتال وبالهجوم وبالسباب وبالشتائم وهذا لم يأتِ عن الرسول ﷺ ولم يكن من سيرته ﷺ بل نقول الرسول ﷺ تبرأ من الكفار ومع ذلك تعامل مع يهود أكل من طعامهم وأرخص لنا فى نكاح نسائهم وأرخص لنا أيضًا فى طعامهم سبحانه وتعالى ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى فهذا شئ وهذا شئ آخر ، ينبغى للإنسان أن ينتبه إليه ولا تختلط عنده الأمور فى معنى البراءة من الكفر وأهله ولا يتنافى مع البراءة أن يكون هناك علاقات بين الدولة المسلمة والدولة الكافرة لا يتنافى مع البراءة أن يوجد فى بلاد المسلمين ذميين أو أن يوجد أهل عهد أو أن يوجد مستأمنين أو أن يوجد رسل ملوك فكل ذلك مما أقره الرسول ﷺ بل قال ﷺ " من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة توجد من مسيرة سبعين عامًا " صححه الإمام الألبانى

الموضع الثالث

الموضع الثالث [قصة قراءته صلى الله عليه وسلم سورة النجم ، بحضرتهم] :

فلما بلغ : { أفرءيتم اللات والعزى } ألقى الشيطان في تلاوته : تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قاله ، ففرحوا بذلك فرحاً شديداً ، وقالوا كلاماً – معناه :- هذا الذي نريد ، ونحن نعرف أن الله سبحانه هو الضار النافع وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده ، فلما بلغ السجدة ، سجد وسجدوا معه ، فشاع الخبر أنهم صافوه ، وسمع بذلك من في الحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عادوا إلى أشر ما كانوا عليه ، ولما قالوا له : إنك قلت ذلك ، خاف من الله خوفاً شديدا عظيماً ، حتى أنزل الله عليه : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ).

فمن فهم هذه القصة ، ثم شك في دين النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين . . فأبعده الله ، خصوصاً إن عرف أن قولهم : تلك الغرانيق العلى أنها الملائكة .

هذا الموضع الثالث من السيرة يدل للموضع الثانى ، أما قال المصنف إن قريش فى أول الأمر فرحت بدعوة الرسول وقبلتها حتى تكلم علي أن آلهتهم لا تُعبد وأنها باطلة هذا دليل لهذا الكلام ، هذه القصة قصة أن الرسول ﷺ لما قرأ أمام كفار قريش " والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى * علمه شديد القوى " .. الخ لما قرأ عليهم هذه السورة وجاء عند موضع السجود سجدوا معه لمَ ؟ لأن الشيطان ألقى أثناء قراءة الرسول ﷺ كلامًا سمعه الكفار وظنوه من الرسول وهذا معنى " إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته " يعنى إذا قرأ ألقى الشيطان أثناء قراءته كلامًا يظنه السامع من المتكلم وهو ليس من المتكلم ، فألقى الشيطان كلامًا أثناء كلام الرسول ﷺ بالقرآن فسمعه الكفار فظنوه من كلام الرسول

ما هو هذا الكلام ؟ هو أن الرسول ﷺ لما جاء عند قوله تعالى " أفرأيتم اللات والعزى " ألقى الشيطان فى تلاوته { تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لتُرتجي } فظن الكفار أنها من كلام محمد ﷺ وليست هى من كلام محمد ﷺ إنما هى من كلام الشيطان ألقاها أثناء كلامه ، ففرحوا لأنهم رأوا فى ذلك أن الرسول ﷺ يدعوهم إلى التوحيد مع إقرارهم على ما هم عليه وهم كانوا يكرهون خلاف الرسول ، لأنهم كانوا يعلمون أنه الصادق الأمين ، وكانوا يعلمون فى قرارة أنفسهم أن ما جاء به حق

وما عهدوا عليه غير ذلك وكانوا ما يريدون خلافه ، فلما جاءتهم بهذه الطريقة فرحوا بذلك واستمر الأمر مدة طويلة إلى درجة ان الصحابة الذين هم فى الحبشة سمعوا بذلك وعادوا ، ومعلوم أن

الطريق من الحبشة إلى مكة طريق يأخذ وقت طويل ، فيبدو أن الأمر استغرق وقتًا طويلًا ، انتشر عند قريش وانتشر عند كفار مكة و و .. الخ حتى بلغ الذين هاجروا الهجرة الأولى إلى الحبشة فرجع منهم أناس إلى مكة وعلموا أن الأمور هدأت وأن الأزمة انفرجت و و .. الخ فلما بلغ الرسول ﷺ ما حصل خاف من الله فبين الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ حقيقة الأمر وكشفه أن الشيطان ألقى أثناء كلامه كلامًا سمعه الكفار ظنوه منه وهو ليس منه

فلو كانت قضية مصارحة الكفار بكفرهم قضية تحتمل المهاودة لهاود الرسول ﷺ ولسكت الرسول ﷺ وهؤلاء قد مشوا معه ووافقوه ولكن القضية لا تتحمل المهاودة القضية لابد فيها من المفاصلة فرد الرسول ﷺ كلامهم وبين أن هذا الكلام إنما ألقاه الشيطان وأنه إنما جاء بعبادة الواحد الديان عبادة لا يشركه فيها معه أحد لا يصرف شيئًا من العبادة لغير الله سبحانه وتعالى ، عندها انقلبت قريش وبدأت تعود إلى سيرتها فى الأذية والتعذيب وسامت المسلمين سوء العذاب ومع ذلك الرسول ﷺ ثبت على ما أمره الله سبحانه وتعالى به فهذا دليل أن هذا الموضوع لا يتحمل المساومة ولا يتحمل المداهنة وأنه لابد من إظهاره

باقى التنبيه على أمور :

الأمر الأول : هذه القصة — قصة الغرانيق — من أهل العلم من حكم بوضعها ، لمَ ؟ قال لأن فيها نكارة إذ كيف يسلط الله الشيطان على الرسول ﷺ فى قراءته فيدخل فى قراءته من القرآن ما ليس منها

ومن أهل العلم من قال هذه القصة وردت بأسانيد كثيرة جدًا مما يبعد معه أن لا يكون لهذه القصة أصل بل كثرة أسانيدها تدل على أن لهذه القصة أصل ، وأما النكارة في المتن فمحلها لو أن ما ألقاه الشيطان لم يبين ، أما وقد بينه الله وكشفه فقد زالت النكارة ، ويبدو أن الإمام محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — ممن يمشى على هذه الطريقة وهذه الطريقة عليها الحافظ بن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري كما ذكره وبينه وفصله في تخريجه لأحاديث الكشاف ، فإنه حينما جاء عند هذه القصة ذكر أن هذه القصة لها أسانيد كثيرة وأن هذه الأسانيد الكثيرة تثبت أن لها أصلًا وأن النكارة المذكورة فى متنها مدفوعة بأن محل النكارة أن لا يأتى بيان ما ألقاه الشيطان فى قراءة الرسول ﷺ أما وقد بين الله ذلك وكشف الله ذلك فلا نكارة فى هذا الموضع من هذه القصة

الأمر الثانى : أن على الداعية أن لا يغتر بسكوت أهل الباطل ومهاودتهم له فإن أهل الباطل إذا سكتوا فإنما يسكتوا عن أمر يعجبهم ويريدونه فعليه أن ينظر وأن يبحث ولذلك الرسول ﷺ حصل منه هذا الأمر

الأمر الثالث : أن الرسول ﷺ مع علمه أنه لم يتكلم بهذا الكلام فى قصة الغرانيق إلا أنه خاف وهذا يبين أن المؤمن عليه أن يعيش بين الخوف وبين الرجاء

قال - رحمه الله - : **الموضع الثالث [قصة قراءته ﷺ سورة النجم بحضرتهم] فلما بلغ " أفرأيتم اللات والعزى " ألقى الشيطان فى تلاوته : { تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجي }** جاءت بالتأنيث لأن **المقصود بالغرانيق الملائكة** التى كان بعض الكفار يعبدونها

قال – رحمه الله - : **فظنوا أن رسول الله ﷺ قالها ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا وقالوا كلامًا معناه : هذا الذى نريد** وهم قد ساوموه ﷺ فقالوا : ءآمن يا محمد بآلهتنا يومًا ونحن نؤمن بإلهك يومًا فما رضى ﷺ قالوا فنعطيك الملك ونعطيك كذا لم يرضى ﷺ قال : والله لو استشرفوا لى الشمس أو القمر على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، وكان ﷺ يردد فى مثل هذا المقام " قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين " وهي سورة البراءة من الكفار وسورة الإخلاص فيها معاني الإخلاص

قال – رحمه الله - : **قالوا هذا الذى نريد ونحن نعرف أن الله سبحانه هو النافع الضار وحده لا شريك له ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده** هم يعرفون هذا حتى كان من تلبيتهم فى الحج ما ذكرناه لكم سابقًا { لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكًا هو لك تملكه وما ملك } فلو كان يسع الرسول ﷺ أن يقبل هذا ويرفع العذاب عن الناس لفعل ذلك ولكن لم يفعل ، لابد من مفاصلة الكفار فى كفرهم والبراءة مما لديهم من الكفر

قال – رحمه الله – : **فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه فشاع الخبر أنهم صافوه وسمع بذلك من فى الحبشة فرجعوا** وسمع بذلك من فى الحبشة يفيد أن الكفار حصلت منهم مواجهة بالعداء وبالتنكيل بمن آمن من المسلمين بمحمد ﷺ لذلك هربوا من عذاب قريش إلى الحبشة ومع ذلك ظلوا فى مفاوضة ومرواحة مع الرسول ﷺ حتى حصلت هذه الواقعة

قال – رحمه الله - : **فلما أنكر ذلك رسول الله ﷺ عادوا إلى شر مما كانوا عليه ولما قالوا له : إنك قلت ذلك خاف من الله خوفًا شديدًا حتى أنزل الله عليه " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى "** - يعنى قرأ وتلى **التمنى بمعنى : التلاوة والقراءة** - **" ألقى الشيطان في أمنيته "** - يعنى في قراءته وفى تلاوته – **فمن فهم هذه القصة ثم شك في دين النبى ﷺ ولم يفرق بينه وبين دين المشركين فأبعده الله خصوصًا إن عرف أن قولهم تلك الغرانيق العلي أنها الملائكة**

بمعنى أن هؤلاء الكفار رضوا بهذا على أنهم يستشفعون بالملائكة لا بالأصنام ومع ذلك الله لم يرضى ذلك ولم يرخص للناس إلا بأن يوحدوه وحده دون سواه وأن يتبرأوا من الكفر وأهله فما بالك إذا كان هؤلاء المشركون يريدون شفاعة أصنام وأحجار وقبور وأضرحة وأشياء دون الملائكة بكثير ، فإذا لم يقبل الله أن تكون الملائكة محلًا لأن يتوجه الناس لها بالدعاء وبطلب الشفاعة من الله عن طريقها فما بالك بهذه القبور وبهذه الأصنام وبهذه الأضرحة وبهذه الأمور التي يقيمها بعض الناس لكي يتقرب إلى الله عز وجل عندها

الموضع الرابع [قصة أبي طالب] :

فمن فهمها فهماً حسناً ، وتأمل إقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيهه عقول المشركين ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وعشيرته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن مات ، ثم صبره على المشاقّ العظيمة والعداوة البالغة ، لكن لأنه لم يدخل فيه ، ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً ، مع أنه يعتذر عن ذلك أن فيه مسبة أبيه عبد المطلب وآل هاشم وغيرهما من مشايخه .

ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم،فأنزل الله عليه :(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى) (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) .

والذي يبين هذا: أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الإحساء بحب الدين وبحب المسلمين ،ظن أكثر الناس أنه من المسلمين، مع أنه لم ينصر الإسلام بيده ولا ماله ، ولا له من الأعذار ما لأبي طالب ، فمن فهم قصة أبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدّعي الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الإفهام ، والله المستعان .

سبحان الله ! كأن المصنف يرد على تصرفات بعض الناس اليوم ، هذا الموقف من مواقف السيرة يريد المصنف فيه أن يبين أن حب الشخص للدين ، مساعدته لأهل الدين ، بذله لأهل الدين لا يعنى أنه مسلم حتى يتبرأ من الكفر وأهله ، اعترافه أن ما عليه أهل الدين حق لا ينفعه بشئ إذا لم يتبرأ من الكفر وأهله

الآن تجدوا بعض الدعاة نقول له يا أخي ما يجوز هذا الذى تفعله يقول يا أخى هذا الرجل تاجر كبير يدعم الدعوة ويدعم الدين فأنا لا أريد أن أدعوه ونرجوا له الخير نرجوا له الخير ، هذا لا يجوز ، هذا أبو طالب عم الرسول ﷺ وقف مع الرسول ﷺ وقفات كبيرة أخبر أن الرسول ﷺ على حق وأن ما يدعوا إليه الرسول ﷺ ووقف بين قريش وبين الرسول ﷺ وتحمل مع الرسول ﷺ ما تحمل من أذى قريش ونفع الرسول ﷺ ونفع المسلمين بما شاء الله أن ينفع به الدعوة ومع ذلك هو فى النار ، لم يكن مسلمًا ، وبعض الناس لا يفهم هذا يظن أن فلان رجل من أهل الخير ومن أهل الصلاح ينفق فى الدعوة يبذل يساعد المسلمين لكنه فلان هذا لا يتبرأ من الكفر ولا من الكفار

بل أزيدكم قد يكون فلان هذا يصلى وقد يكون فلان هذا يصوم لكن لا يعلن البراءة من الكفر وأهله ، لا يقول أن هؤلاء كفار ونحن مسلمين ، لا يقول أن هؤلاء كفار عبادتهم باطلة ودينهم باطل ونحن على الحق ، لا يقول هؤلاء الكفار أهل النار ونحن أهل الجنة ، لا ، لا يعلنها يرى انه من الدبلوماسية

السكوت عن ذلك ، يرى أنه من حسن الدعوة السكوت عن ذلك ، يرى انه من الحكمة السكوت عن ذلك ، فهذا الرجل ما دام لم يعلن البراءة من الكفر وأهله مع قدرته وعدم المانع فإننا نقول هذا لم يحقق الدين وحاله كحال أبى طالب

بل أقول مهما بلغ من حاله ومن بذله لن يكون كحال أبى طالب ، ومع ذلك أبو طالب لم ينفعه ما كان عليه ، وكأن المصنف الآن فى هذه المواضع الست يريد أن يؤكد على قضية البراءة من الكفر وأهله ، انه لابد للمسلم أن ينتبه لهذا الموضوع ، والبراءة عند العلماء من الكفر وأهله على مرتبتين :

المرتبة الأولى : البراءة القلبية التى لابد أن ينعقد قلب كل إنسان على كره الكفار وعلى بغضهم وبغض ما هم عليه وأنهم على باطل وأنهم من أهل النار وأنهم معادين لله ولرسوله وأن ينعقد فى قلبه العداوة لهم ، لابد أن يكون هذا فى القلب ، ولا يصح إيمان الشخص بدونه

المرتبة الثانية : إظهار ذلك على الجوارح ، هذا الإظهار لابد منه مع القدرة وعدم المانع أما إذا كان الانسان لا يقدر أو هناك مانع يمنعه من أن يتبرأ من الكفر ومن أهله فنقول " إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان "

بعض الناس لا يفرق بين المرتبتين ، يريد أن يجعل المرتبتين بصورة واحدة وأنه لابد من إظهار العداوة فى كل حال وفى كل وقت حتى لو اضطر إلى أن يُسجن أو يُضرب أو يُعذب أو يهرب من البلاد ويسكن الجبال ويسكن فى الصحاري بعيدًا عن المدن الحاضرة ، هذا كلام أهل الباطل ، والذى حضه إليه أنه فهم البراءة من الكفار بغير ما عمل بها الرسول ﷺ فإما أن يكون فهمه للبراءة حق وما كان عليه الرسول ﷺ باطل وإما أن يكون فهمه للبراءة باطل وما كان عليه الرسول ﷺ حق ولا شك أن الرسول ﷺ هو الذى يفسر الدين فطريقته ﷺ فى التعامل مع الكفار هى تبين حدود البراءة ، فمع كون الرسول ﷺ يتبرأ من الكفر وأهله لم يمنعه ذلك من أن يزور يهودى ، لم يمنعه ذلك من أن يجيب دعوة يهودى لم يمنعه ذلك من أن يبين شرع الله سبحانه وتعالى فى جواز نكاح الكتابيات لم يمنعه ذلك من أن يموت ودرعه مرهونة عند يهودى لم يمنعه ذلك من أن يبين حكم المعاهد وأن المعاهد لا يجوز قتله ولا الاعتداء عليه قال ﷺ " من قتل نفسًا معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وإن ريح الجنة توجد من مسيرة سبعين عامًا " صححه الإمام الألبانى

إذن يا أخى انظر الرسول ﷺ قام بالبراءة وفعل هذه الأمور ، إذن البراءة فى الظاهر لا تعنى المواجهة الدائمة لا تعنى القتال الدائم ، لا ، إنما بالطريقة التى طبقها الرسول ﷺ ، ففهم البراءة بغير هذا الفهم هذا باطل ، سيدنا إبراهيم ﷺ قال " إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا " فبيننا وبينكم عداوة وبغضاء لا يوجد حب فى هذا الموضوع ، لكن هذا لم يمنعه أن يسكن معهم أن يذهب ويأتى معهم أن يكون كذا وكذا

مادام الحال بهذه الصورة وبهذا الوضع ، لكن اولائك — أصحاب الفكر الضال — لما فهموا البراءة بمعنى المواجهة الدائمة المستمرة المعلنة فى كل وقت وفى كل حال ورأوا أن البراءة من الكفار تتنافى مع دخول الكفار بلاد المسلمين ومع وجود سفارات لهم ومع ومع ، حكموا أن ولاة الأمر كفار

لأنهم أخلوا بأصل الدين ، وحكموا على المسلمين بأنعم ينبغى عليهم أن يواجهوا هؤلاء أو يدخلوا السجن أو يهربوا إلى الجبال والصحارى ، هذا كلام باطل مبنى على باطل كما بينت لكم قبل قليل ليس هو من منهج الرسول ﷺ ولا من منهج الصحابة – رضوان الله عليهم – وهذا الفهم ليس من الدين بالكلية

يقول – رحمه الله -

الموضع الرابع [قصة أبي طالب] :

فمن فهمها فهماً حسناً ، وتأمل إقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيهه عقول المشركين ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وعشيرته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن مات ، ثم صبره على المشاقّ العظيمة والعداوة البالغة ، لكن لأنه لم يدخل فيه ، ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً

لماذا ؟ لأن الدين لابد فيه من البراءة من الكفر وأهله ، أبو طالب تولاهم حتى عند مماته قال له القائل أتترك ما كان عليه اباؤك وأجدادك ؟ قال فأنا على ما عليه أبائي وأجدادي ومات ، كان رسول الله ﷺ يحب أن يسلم ويراه قريبًا من الإسلام " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء " ولكن مات على دين الأباء والأجداد

قال – رحمه الله – : **لكن لما لم يدخل فيه ولم يتبرأ من دينه الأول لم يصر مسلمًا مع انه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم** هذه نقطة أنبه لها :

خرج بعض الناس هذه الأيام قبل فترة حتى بعضهم ألف كتاب يقول أن أباء الرسول ﷺ على الحنيفية السمحة على الحنيفية ملة إبراهيم يقول أباء الرسول ﷺ وأجداده وهذا الكلام باطل ليس صحيحًا ،

القرآن يرده وما ورد فى سبب نزول " إنك لا تهدي من أحببت " فى هذه القصة التى يذكرها المصنف – رحمه الله – دليل أن أباء الرسول ﷺ وأجداده لم يكونوا على الحنيفية السمحة ملة إبراهيم ﷺ ، وأن هذا الكلام وهذه الدعوي دعوي باطلة تردها هذه الآيات وما جاء فى سبب نزولها ، فأباء الرسول ﷺ وأجداده كانوا على الكفر لم يكونوا على الحنيفية ملة إبراهيم ﷺ

كما يدعيه بعض الناس أو كما يظنه بعض الناس ، وبعض الناس قد يدفعهم الغلو فى الرسول ﷺ إلى مثل هذه الدعاوي العرية عن الدليل

قال – رحمه الله - :

مع أنه يعتذر عن ذلك أن فيه مسبة أبيه عبد المطلب وآل هاشم وغيرهما من مشايخه ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم،فأنزل الله عليه :(مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى) (مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) .

والذي يبين هذا: أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الإحساء بحب الدين وبحب المسلمين ،ظن أكثر الناس أنه من المسلمين، مع أنه لم ينصر الإسلام بيده ولا ماله ، ولا له من الأعذار ما لأبي طالب ، فمن فهم قصة أبي طالب، وفهم الواقع من أكثر من يدّعي الدين ، تبين له الهدى من الضلال ، وعرف سوء الإفهام ، والله المستعان .

فممكن الانسان يُظهر الدين لكن لا يكون مسلم حتى يتبرأ من الكفر وأهله هذه القضية من أصول الإسلام ومن أصول الدين

الموضع الخامس : [قصة الهجرة] :

وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسألة واحدة من مسائلها ، وهي: أن من أصحاب رسول الله ﷺ من لم يهاجر – من غير شك في الدين ، ولكن محبة للأهل والمال والوطن – فلما خرجوا إلى بدر ، خرجوا معهم وهم كارهون ، فقتل بعضهم بالرمي – والرامي لا يعرفهم – فلما سمع الصحابة: من القتلى: قتل فلان وفلان، شق عليهم ، وقالوا : قتلنا إخواننا فأنزل الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا . . . الآيات).

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : (قتلنا إخواننا) (علم أنهم) لو بلغهم عنهم كلام في سب الدين ، أو كلام في تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : قتلنا إخواننا ، فإن الله بيّن لهم وهم بمكة ، قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله تعالى : (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ).

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم ، فإن الملائكة تقول لهم : { فيم كنتم }؟ ولم يقولوا : (لهم : كيف تصديقكم ، فلما قالوا : كنا مستضعفين في الأرض) لم يقولوا : (كذبتم) مثلما يقول الله والملائكة والملائكة للمجاهد الذي يقول : جاهدت في سبيلك حتى قتلت فيقول الله : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت ، بل قاتلت ليقال : جريء وكذلك يقال للعالم والمتصدق: كذبت ، بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد . . . وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل أجابوهم بقولهم : (أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا).

ويزيد ذلك إيضاحاً للجاهل والعارف : الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : (إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا) فهذا أوضح جداً لأن هؤلاء الذين خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيمن هذه صفته : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) .

فمن فهم هذا الموضع والموضع الذي قبله، فهم كلام الحسن البصري : (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتّمنّي ، ولكن ما وقر في القلوب ، وصدّقته الأعمال ، وذلك أن الله تعالى يقول : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ).

أقول : هذا الموضع الخامس من المواضع الستة التي أدار عليها المصنف - رحمه الله - هذا الكتاب ، ومراد المصنف في هذا الموضع الخامس الاستدلال بقضية الهجرة في الذين لم يهاجروا مع الرسول ﷺ إلى المدينة ، وقاموا مع كفار قريش لما خرجت قريش لقتال الرسول ﷺ في معركة بدر بينما الله سبحانه وتعالى حكم على هؤلاء الذين قتلوا في معركة بدر أنهم في جهنم وساءت مصيرًا ، لانهم لم يهاجروا مع الرسول ﷺ في هجرته ولأنهم خرجوا مع كفار قريش يكثرونهم ويكثرون سوادهم ووقفوا معهم ضد الرسول ﷺ وأصحابه

مراد المصنف أن يبين أن مسألة البراءة من الكفار والمجافاة للكفار والبعد عنهم من أصول الدين ، وهذا الموضع يدل عليه فإن هؤلاء المؤمنين لما مكثوا في مكة من أجل المال والأهل والأقارب والأرض ولم يهاجروا إلى رسول الله ﷺ زين المشركون لبعضهم الرجوع عن الإيمان فكفروا ، وبعضهم مكث في محله - يعني في مكة - ولم يهاجر مع قدرته على الهجرة من أجل المال ومن أجل الأرض ومن أجل الأهل والعيال ولكنه بقي علي إيمانه ، وبعضهم الآخر مستضعف لا قدرة له ، فحكم الله سبحانه وتعالى على الذين لم يهاجروا ولم يخرجوا مع الرسول ﷺ ووقفوا مع قريش في بدر ضد المسلمين ، حكم عليهم بأنهم في جهنم وساءت مصيرًا ، وأهل العلم في هذا الموقف على موقفين أو اتجاهين :

الاتجاه الأول : يقولوا : كانت الهجرة من مكة إلى المدينة واجبة ، ومعلوم أن الهجرة التي كانت في زمن الرسول ﷺ والتي يقال عن صاحبها أنه من المهاجرين كانت من حين هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة إلى فتح مكة ولا هجرة بعد الفتح ، فلا ينال فضل الهجرة إلا من هاجر قبل الفتح ولا هجرة بعد الفتح ، فقال هؤلاء كانت الهجرة واجبة ومن شرط الإيمان ، فمن لم يهاجر مع الرسول ﷺ ومكث في مكة وخرج معهم فهذا قد أبطل إيمانه وقبل تزيين الكفار له

الاتجاه الثاني : ومن أهل العلم من قال ، لا ، الذين لم يهاجروا على نوعين :

النوع الأول : زين له المشركين الكفر وترك الإيمان فطاوعهم على ما دعوه إليه فهؤلاء كفروا بعد إيمانهم

والنوع الثانى : بقوا فى مكة لزينة الأهل والمال وهم من أهل الإيمان وهذا الفعل الذى فعلوه فعل محرم يأثموا عليه ويعاقبوا فيه بالنار ، ولكن لا يلزم منه أنهم كفار ، وقالوا : **القضية فى كل شخص بحسبه ، فإن الحكم بالكفر لابد فيه من ثبوت شروط وانتفاء موانع**

المصنف – رحمه الله – الذى يظهر من تصرفه أنه يختار الاتجاه الأول ، وهو أنه يرى أن كل من لم يهاجر مع الرسول ﷺ وآثر البقاء فى مكة من أجل المال والأهل والأرض فهذا لم يحقق ركن البراءة من المشركين وأهله مع قدرته ، إذا كان قادرًا ولا مانع يمنعه من الهجرة فهذا لم يحقق ركن أو أصل البراءة من المشركين ومن الشرك ، وآثر المال وآثر الأرض وآثر الأهل والعيال على الإيمان فإن هذا لا يصدق فى إيمانه ولا يُصدق فى دعواه الإيمان ، ولذلك الرسول ﷺ لما وقع العباس أسيرًا من ضمن أسرى قريش عند الرسول ﷺ وكان العباس فى ذاك الوقت يقول أنه يكتم إيمانه لم يقبل الرسول ﷺ منه وقال قد قضى الله فى أمرك أنك لست من الذين هاجروا مع قدرتهم وآثرت البقاء عند المال والأرض والأهل فلم يقبل منه دعواه أنه كان مؤمن ، وهذا يؤيد اتجاه المصنف – رحمه الله –

تبقى مسائل فى هذا الموضع :

المسألة الأولى : قصة الهجرة معروفة وهى أن الرسول ﷺ لما اشتدت وطأة قريش عليه وعلي أصحابه - رضوان الله عليهم - أمر الضعفاء منهم أن يهاجروا إلى الحبشة إذ كان فيها ملك لا يظلم من يكون عنده ومكث الرسول ﷺ فى مكة ينتظر أمر الله سبحانه وتعالى له ومن بقي من الصحابة مكث صابرًا فى مكة ثلاثة عشر سنة ، تجدون فى بعض الروايات أنه مكث فى مكة عشر سنوات وهؤلاء الذين يقولون مكث فى مكة عشر سنوات ينقصون منها الثلاث سنوات التى كان محبوسًا ﷺ فى شعب على بمكة ، ومنهم من يحذف من الثلاثة عشر سنة الوقت الذى فتر فيه عليه الوحي فيقولون عشر سنوات

بعد أن أذن الله عز وجل له بعد ان اشتدت وطأة قريش عليه وعلي الصحابة ، هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة وأمر الصحابة أن يهاجروا ، وكان الواجب أن يتمثل الصحابة لهذا الأمر ولا يتخلف عن الهجرة إلا المستضعفين فهؤلاء الذين لا قدرة لهم على الهجرة " لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها " و " لا يكلف الله نفسًا إلا ما آتاها " " و إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم " متفق عليه

بقى اللوم على من ؟ بقى اللوم على من كان قادرًا على الهجرة ولم يهاجر ، هؤلاء الذين بقوا منهم من قبل الفتنة وافتتن وعاد إلى الكفر ، ومنهم من بقى يضمن الإيمان فى قلبه ، يقول أنا مؤمن ومصدق لكن أريد أن أجلس عند أهلى وعيالى وأرضى فحكم الله فى هؤلاء بقوله تعالى " إن الذين توفاهم الملائكة " أى يوم بدر ، الذين قتلوا ممن يقول أنه يكتم الإيمان فى قلبه ، أما الذى افتتن انتهى فإن

أمره واضح بقينا فى الذين يكتمون الإيمان فى قلوبهم بدعواهم ، يدعون هذا أن عندهم إيمان فمنهم من قُتل فى بدر فالصحابة لما علموا أن فلان قتل ممن كانوا يظنون فيه الإيمان كأنهم تأثموا

فأنزل الله قوله " إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيمَ كنتم " ؟ أى قالت الملائكة لهم فيمَ كنتم ؟ لمَ لم تخرجوا وتهاجروا مع رسول الله ﷺ لمَ مكثتم فى مكة وأنتم قادرين " قالوا كنا مستضعفين فى الأرض " لم تكذب الملائكة قولهم إنا مستضعفين فى الأرض ، لا ، " قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها " ؟ لم تكذب الملائكة قولهم " كنا مستضعفين فى الأرض " صحيح أنتم كنتم مستضعفين لكنكم كنتم تقدرون علي الخروج والهجرة لم تكذبهم فى قولهم " كنا مستضعفين "

يقول المصنف لو كانت كلامهم هذا باطل غير حقيقى لرده الله ، كما ثبت أن الرجل يؤتي به يوم القيامة فى الحديث الذى جاء عن الرسول ﷺ " إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال : كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال : عالم وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال : هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار " رواه الإمام مسلم

فقال لو كان قولهم " كنا مستضعفين في الأرض " كذبًا غير حقيقى لا يصدقه واقعهم لكذبتهم الملائكة ، لكن سكوت الله عز وجل وإقرارهم على هذا الكلام " كنا مستضعفين في الأرض " دليل على أنهم قالوا الحق ، والله عدل عن الرد على هذا وقبله منهم ولكن اعترض بأمر آخر " قالوا كنا مستضعفين في الأرض " قالت الملائكة " ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولائك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا " انتهى الموضوع فهذا حكم من الله سبحانه وتعالى بأن المرء إذا كان قادرًا على إظهار البراءة من الكفار وامتنع عن ذلك رغبة في أهله وماله وعياله والدنيا والأرض والمكانة والرفعة التي هو عليها فهذا لا يُحكم بإيمانه ، كما لم يحكم الله سبحانه وتعالى بإيمان هؤلاء الذين ادعوا ذلك ادعوا انهم مؤمنين

ولذلك يقول الحسن البصرى **{ ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكنه ما وقر في القلب وصدقته الجوارح }** أنت تقول انك مؤمن لمَ لم تظهر البراءة من الكفر وأهله مع قدرتك ، لكن لاحظوا البراءة بالمعنى الذى ذكرناه لكم في المحاضرة الماضية ، لمَ لم تظهر البراءة من الكفر وأهله ؟ لمَ استسقت معهم ؟ لمَ مكثت بينهم ؟ لمَ لم تخرج من ديار الكفر ؟ ألم تسمع أن رسول الله ﷺ يقول " ناران لا

تترائيا نار مؤمن ونار مشرك " ؟ ألم تسمع إلى أن رسول الله ﷺ يقول " إن الله ورسوله برئ من مسلم بين ظهراني مشركين " ؟ كيف تقيم فى أرض الكفار ؟ كيف تمكث عندهم وأنت قادر على الخروج ؟ وأنت مستضعف لا تستطيع إظهار دينك

وبعض الناس لا يعرف معنى إظهار الدين يظن أن مجرد إقامة الصلاة هذا إظهار دين ، لا ، إظهار الدين أن تستطيع إظهار الصلاة وإظهار شعائر الدين وأن تستطيع أن تقول أنتم كفار ونحن مؤمنون ، أنتم من أهل النار ونحن من أهل الجنة ، تقول آمنوا بالله وبرسوله اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا ، لا تستطيع أن تفعل هذا ، الآن المرأة تُحارب فى الحجاب فى أوروبا ، الآن الرجل يحارب فى اللباس ، اتصل علي بعض الإخوة يقول : إذا لبست اللباس الشرعى لا أجد أحد يوظفنى ، وإذا أطلقت لحيتى أبعدونى ، يقول : لابد حتى أعمل أن ألبس غير اللباس الشرعى وأن أحلق لحيتى وأن أفعل وأفعل ، هل هذا إظهار دين ؟! إذن يُخشى على من يمكث على هذه الحال فى بلاد الكفر مع قدرته على الهجرة إلى بلاد الإسلام الإثم العظيم ويُخشى عليه الافتتان بما عند الكفار ، ويكفى له زاجرًا حديث الرسول ﷺ " إن الله ورسوله بريئان من مؤمن بين ظهراني مشركين " .

نقول : فالآية حكمت " فأولائك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا " انتهى الأمر ، " إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان " ما هو وصفهم ؟ " لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا فأولائك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوًا غفورًا " إذن الآية تُثبت أن هناك أناس يدعون الإيمان فى مكة قبل معركة بدر من هؤلاء الناس من خرج مع الكفار يتكثر به المشركون ، خرج معهم إلى بدر فكان ممن قُتل من الكفار علي أيدى المؤمنين وما كان الذى قتلهم يعلم أنهم فلان أو انه فلان ممن يُعلم أنه كان يكتم إيمانه ، فالآية بينت أن الناس الذين بقوا فى مكة بعد هجرة الرسول ﷺ على ثلاث أحوال :

الأول : أناس لا شك فى كفرهم وهم ممن قبل تزيين الكفار وافتتن بفتنتهم وارتد فهؤلاء كفار

الثانى : وأناس يكتمون الإيمان وهؤلاء على نوعين :

أ- كلهم لا يستطيعون إظهار الدين مستضعفين ، لكن منهم من يقدر أن يهاجر ومنهم من لا يقدر أن يهاجر ، فالذى يقدر أن يهاجر ولم يهاجر وقُتل فى بدر قال تعالى " فأولائك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا "

ب- والذى لم يكن قادرًا على الهجرة وكان من المستضعفين ولا يملك حيلة ولا يهتدى سبيلًا أى طريقًا للخروج فهؤلاء " عسى الله أن يعفوا عنهم " **وعسى من الله واجبة**

فإذا علمت أيها المسلم أن هذا حكم الله فى الصحابة الذين لم يهاجروا لماذا ؟ لأنهم مكثوا بين ظهراني الكفار مع قدرتهم على الهجرة وإظهار الدين ، بقاؤهم أي لا يستطيعون إظهار الدين تعلم حقيقة مسألة البراءة من الكفر وأهله ، إذا الله كفر هؤلاء لأنهم كانوا يقدرون على إظهار البراءة من الكفر وأهله إذا هاجروا ، ومع ذلك مكثوا ورضوا بكونهم مستضعفين لا يستطيعون إظهار الدين ،

علمت خطورة قضية مسألة البراءة ، وعلمت حقيقة أن الإيمان ليس بالتمنى ولا بالتحلي ولكنه ما وقر في القلب

المسألة الثانية : أن موضوع الهجرة بعد فتح مكة انتهت الهجرة التي ينال أصحابها الفضل والشرف التي يقال عن أصحابها أنهم من المهاجرين ، كل من جاء قبل فتح مكة يعتبر ماذا ؟

فكل من هاجر إلى الرسول ﷺ قبل فتح مكة فهو من المهاجرين ، لكن الرسول ﷺ يقول " لا هجرة بعد الفتح " رواه الإمام البخارى فى صحيحه

نقول مراد الرسول ﷺ تلك الهجرة التى كان أهلها ينالون بها فضل ووصف أنهم من المهاجرين ، فهل تبقى هجرة بعد ذلك ؟ نقول نعم ، تبقى أنواع من الهجرة :

تبقى الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام ، تبقى هجرة المعاصى والذنوب وتركهم وقد قال ﷺ " المهاجر من هجر ما نهى الله عنه " رواه الإمام البخارى فى صحيحه

وتبقى هجرة أصحاب المعاصى والكبائر والبدع وتركهم ونبذهم فإن هذا أيضًا من وجوه الهجرة التى تبقى

المسألة الثالثة : قضية أن { الإيمان ليس بالتمنى ولا بالتحلى ولكنه ما وقر فى القلب وصدقه العمل } ، هذه قضية مهمة لابد أن ينتبه إليها المؤمن ، بمعنى أن بعض الناس يقول : يا أخى الإيمان فى القلب ، لما تقول له يا أخى لا يجوز هذا اطلق لحيتك ، لا يجوز هذا قصر ثوبك ، لا يجوز هذا أنت تفعل كذا ، يقول يا أخى الإيمان فى القلب ويستدل بحديث الرسول ﷺ أنه قال " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " رواه الإمام مسلم

هكذا يقولون : فنقول له يا أخى أولًا : هذا الحديث أكمله أنت لم تكمله " ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " أكمل الحديث

ثانيًا : نقول : لو كنت صادقًا في إيمانك لانفعلت جوارحك بما يصدق هذا الإيمان أما ترى إلى قول الرسول ﷺ " ألا وإن في الجسد مضغة : إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " متفق عليه

فمن كان في قلبه ذرة من الإيمان لابد أن تنفعل جوارحه بما يدل على هذه الذرة ، ولذلك كان الفرقان بين أهل السنة والمرجئة في مسألة الإيمان أن المرجئة تصوروا إيمان بلا عمل ، أما أهل السنة لا إيمان عندهم بما لم يصدقه في الجوارح يعنى من العمل ، فلا إيمان إلا بعمل ، عندك إيمان في قلبك بقدر الذرة تظهر قدر الذرة في جوارحك ، لابد أن يظهر أثر الإيمان ، ولا يتصور أن إنسان يقول أنه مؤمن ويمكث عمره مع القدرة وعدم المانع لا يركع لله ركعة ولا يصوم لله يوم ولا يفعل طاعة ولا يذكر الله ويقول أنا مؤمن ، المرجئة تصوروا هذا أما أهل السنة لا يتصورون ذلك ، فالإيمان ليس

بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ، فلابد من العمل يصدق هذا الإيمان ، فإذا حصل العمل الذى يصدق الإيمان فصاحبه إما أن يستكثر من الطاعات فيزيد إيمانه وإما أن يتقلل من الطاعات فينقص إيمانه ، وقد ينقص الإيمان حتى يزول ، قد يكون الإيمان مثل الجبال وقد ينقص حتى يزول ، ولم يعد هذا الرجل يُحكم عليه باسم الإيمان

فلابد أن تعلموا أن الإيمان يزيد وينقص وقد ينقص حتى يذهب ، والرسول ﷺ أشار إشارات إلى نحو هذا المعنى مثل حديث الرسول ﷺ قال : " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه " رواه الإمام مسلم

كيف **على الحصير عودًا عودًا** ؟ أي : لو إنسان نام على الحصير ألا يترك الحصير أثره على كتفه ؟ يقول ﷺ الفتن تترك أثرها فى القلوب كما يترك الحصير أثره على الجسد عودًا عودًا ، كالعود بجوار العود فى الحصير فى جسدك ، كذا الفتن يظهر أثرها على القلب كأثر الحصير على البدن عودًا عودًا

والآخر اسودًا مربادًا أى : كالهباب الأسود الذى يكون على القدر وهو على النار ، أى هذا الرباد يكون على القلب

الكوز : هو الإناء إذا كان مائلًا هل يستقر فيه ماء ؟

مجخيًا : أى مائلًا

اقرأوا قوله تعالى " كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون " اذن هذا الحديث بين أن القلب تترك فيه الذنوب نكت سوداء ، ما هى الخطورة يا صاحب المعصية ؟ ما هى الخطورة يا صاحب الكبيرة ؟ أنك قد تذنب الذنب ويكون آخر منفذ للإيمان إلى قلبك فيرين الران إلى قلبك ولم يعد يستطيع الإيمان أن يرجع ، كما قال ﷺ فى الحديث الآخر " إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان كان عليه كالظلة فإذا انقطع رجع إليه الإيمان " رواه أبو داوود والترمذى وصححه الإمام الألبانى

ما أدراك أن هذه المرة لما تعصى الله تكون آخر نكتة في القلب يرجع منها الإيمان يختم عليها بالران ، ويرجع الإيمان لا يلاقى مكان ؟ كثير تجد أناس حالهم هكذا إلا من رحم الله وهو لا يدرى وليس في قلبه إيمان الران غطى على كل قلبه وهو لا يدرى و لا يوجد إيمان ، والسبب مثل هذه الصورة ، لذلك **أهل السنة ماذا يقولون ؟ يقولون : الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وقد ينقص حتى يزول وقد يكون الإنسان يشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله ، والحقيقة أنه ليس مؤمنًا** قد يكون ليس في قلبه ذرة إيمان ، ران علي قلبه لذلك جاءت في الأثر عن بعض السلف أنه قال [إن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها بالاستغفار] كيف ؟ الاكثار من الاستغفار ، الاكثار من ذكر الله ، يلوم الإنسان نفسه على فعل الطاعة أنه لم يزيد ويلوم نفسه على فعل المعصية لماذا فعلها ، والإنسان إذا أذنب يبادر إلى التوبة يبادر إلى الاستغفار ، يخشى ويخاف الله ، كيف افترق حال

المذنب الذى يعرف انه مذنب وافترق حال الذى يفعل الذنب ولا يشعر بأنه مذنب ، كيف افترق حال الصغيرة مع الإصرار والكبيرة مع الاستغفار ، إذن الإيمان ليس بالتمنى ولا بالتحلى ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل ، مقصود المؤلف أن البراءة من الكفر وأهله إذا وُجدت فيك لابد أن يظهر ما يصدقها ، إذا الله لم يعذر من كان يكتم الايمان في قلبه في مكة لمكثه من أجل الأهل والمال والولد والأرض وحكم بأنهم كفار فما بالك بغيرهم

الموضع السادس [قصة الردة ، بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم] :

فمن سمعها لم يبق في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون " العلماء " وهي قولهم : هذا هو الشرك ، لكن يقولون : لا إله إلا الله ، ومن قالها لا يكفر بشيء ! وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة ، لكن يقولون : لا إله إلا الله ، وهم بهذه الشهادة أهل إسلام ، حرم الإسلام مالهم ودمهم ، مع إقرارهم أنهم تركوا الإسلام كله ، ومع علمهم بإنكارهم البعث واستهزائهم بمن أقرّ به ، واستهزائهم بالشرائع وتفضيلهم دين آباءهم المخالف لدين النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا كله يصرح هؤلاء الشياطين المردة الجهلة : أن البدو أهل إسلام ، ولو جرى منهم ذلك كله ، لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ، (ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها) ، وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة ، أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا ، والذي يبين ذلك من قصة الرّدّة ، أن المرتدين افترقوا في ردّتهم ، فمنهم من كذّب النبي صلى الله عليه وسلم ورجع إلى عبادة الأوثان ، وقالوا : لو كان نبياً ما مات ! ، ومنهم من ثبت على الشهادتين ، لكن أقرّ بنبوّة مسيلمة ، ظناً أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه في النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور ، شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع هذا أجمع العلماء أنهم مرتدّون ، ولو جهلوا (ذلك) ومن شكّ في ردّتهم فهو كافر .

فإذا عرفت أن العلماء أجمعوا على أن الذين كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا إلى عبادة الأوثان وشتموا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن أقرّ بنبوّة مسيلمة في حال واحدة ، ولو ثبت على الإسلام كله .

ومنهم من أقرّ بالشهادتين ، وصدق طليحة بن خويلد الأسدي في دعواه النبوّة ، ومنهم من صدق عبّهلة بن كعب الأسود العنسي صاحب صنعاء فكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم مرتدون .
ومنهم أنواع أخر ، منهم الفجاءة السّلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين وطلب من أبي بكر أن يمدّه ، فأعطاه سلاحاً ورواحل ، فاستعرض السّلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله ، فلما أحسّ بالجيش ، قال لأميرهم : أنت أمير أبي بكر ، وأنا أميره ، ولم أكفر ، فقال : إن كنت صادقاً فألق السّلاح فألقاه ، فبعث به إلى أبي بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي .
فإذا كان هذا حكم الصحابة في هذا الرجل ، مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام بكلمة واحدة ، إلا أن يقول: لا إله إلا الله بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كتاب الله ؟! ويقولون هذا دين الحضر وديننا دين آبائنا ، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال : أن هؤلاء مسلمون ! ولو صرحوا بذلك كله ، إذا قالوا : لا إله إلا الله ! سبحانك هذا بهتان عظيم .
وما أحسن ما قال رجل من أهل البوادي ، لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام ، قال : أشهد أنا كفار- يعني هو وجميع البوادي - وأشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل إسلام أنه كافر ! .
تم آخره والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.
الإمام محمد بن عبد الوهاب .

ما أشبه الليلة بالبارحة ، الآن منتشر كل واحد يرجع إلى نفسه ويرى الآن منتشر هذا الكلام كثير من الناس يظن أن قول لا إله الا الله محمد رسول الله وإقام الصلاة يعنى أن هذا الشخص مسلم غير كافر ولو جاء أى أحد يحكم أن هذا كافر يقول لا هذا مسلم كيف تكفره وهو يشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله

لما ذاك الرجل حين قتله قال أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله ، الدنيا اضطربت قالوا هذا مسلم لأنه قال أشهد أن لا إله الا الله وأن محمد رسول الله صحيح أم لا ؟ طيب انظروا ، أجمع أهل العلم على تكفير أهل الردة أنهم كفار ، ومع أن أهل الردة على طوائف ، طائفة منهم امتنعت عن الزكاة فقط وقاتلت من أجله ، وطائفة منهم تقول نحن نشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله ولكن الرسول ﷺ مات فانتهى الأمر ، وطائفة وطائفة طوائف ، جاؤوا بالشهادة جاؤوا بالصلاة جاؤوا بكذا ومع ذلك حكم أهل العلم بالإجماع أنهم مرتدون ، لمَ ؟ لأنه قامت موانع تمنع من صحة ما يدعونه من الإيمان

مثل هذا الكلام نحن نقوله ، نقول : قد يقول الرجل لا إله الا الله محمد رسول الله ويأتى بأركان الإسلام لكنه ليس مسلم لماذا ؟ لأنه لم يتبرأ من الكفر وأهله ، وأقرب مثال المسألة التى قبلها

مؤمنون يبطنون ويشهدوا أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله ، من أجل أنهم لم يهاجروا مع القدرة وعدم المانع ومكثوا مع الكفار حكم الله بأنهم فى جهنم وساءت مصيرًا

مع أنهم يؤمنون بلا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله ويمتثلون أوامر الشرع لكن لم يهاجروا ولم يتبرأوا من الكفار مع قدرتهم وعدم المانع ، ولذلك لابد أن تفهم أن قضية الحكم بالكفر قد توجد فى الشخص مع كونه يأتى بأمور أخرى هى من الدين ، خذوا مثلًا مثال آخر من السيرة قصه لنا الله سبحانه وتعالى أولائك النفر الذين أتوا بأمر كفرى وهو الاستهزاء بالدين وبالعلماء وبالرسول ﷺ وصحابته قالوا لم نري مثل قراؤنا هؤلاء املؤ بطونًا وأجبن قلوبًا وأخوف عند اللقاء ماذا حكم الله عليهم ؟ " لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم " الآية لها تفسيرين :

التفسير الأول : بعد إيمانكم الذى كنتم عليه صرتم بهذا كفار أى أنكم كنتم مؤمنين أثبت الله لهم إيمانًا صحيحًا لكنه زال بهذه الكلمة ، أى ممكن يكون إيمانه صحيح ويصلى ويصوم ويشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله و و ويُحكم بكفره إذا أتى بناقض ينقض الإيمان بدون أن يكون هناك مانع وتكون الشروط كلها قد توفرت وتحققت " قد كفرتم بعد إيمانكم "

ولذلك نحن نقول لابد للمسلم أن ينتبه فى ألفاظه فى كلامه فى تصرفاته لا يقع فى ناقض ينقض الدين وهو لا يشعر لابد لأهل الإسلام أن ينتبهوا أن الإسلام ليس فقط بشهادة أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله لابد أن تأتى بمعناها الذى يحمل معنى المعرفة والتعظيم والتصديق والبراءة من الكفر وأهله لابد أن تعلم هذه المعانى ، أنه من حقيقة شهادة أن لا إله الا الله ، أهل النفاق أما يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله ؟ لكنهم كفار لأن قلوبهم انعقدت على خلاف هذه الكلمة من التصديق والمعرفة الجازمة واليقين والتعظيم والبراءة من الكفر وأهله

ولذلك الله ذكر أن من صفات هؤلاء المنافقين أنهم إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا " إنا معكم " فهم لم يتبرأوا من الكفر وأهله ، هذه من صفاتهم التى نص الله عليها ، وتنصيص الله عليها فى وصفهم دليل أن هذا الوصف من الأوصاف المعتبرة في الحكم عليهم بأنهم كفار ، " إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون " فهم لم يتبرأوا من الكفر وأهله ، إذا علمت هذا علمت أن أهل العلم قد يحكمون على رجل يقول أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله يقولون هو كافر حتى يتبرأ من كذا

ذاك الرجل قال فيه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز — رحمه الله — قال : هو كافر لاعتقاده بعقيدة البعث وإن شهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله وأقام الصلاة وآتى الزكاة أو حج البيت لا يُحكم بإيمانه وإسلامه إسلامًا صحيحًا حتى يتبرأ من عقيدة حزب البعث ، - راجعوا موقع الشيخ بن باز تلاقوا هذا الكلام -

ما هى القضية ؟ أن الإسلام ليست كلمة فقط تقال كلمة لها معناها ولها ما يصدقها من العمل ولها لوازم فأنت تقول أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله لازم تأتى **بمعناها [لا إله بحق إلا الله]** لازم تأتى بلوازمها ، البراءة من الكفر ومن أهله ومن الشرك ومن أهله ، كيف تكون أنت مؤمن وأنت

تمكث مع الكفار مستضعفًا لا تستطيع إظهار دينك مع قدرتك على الهجرة ؟! كيف ؟! كيف تقول أنك مؤمن مسلم ؟! إذا فهمت هذا فهمت كلام الشيخ ، الشيخ هنا يتكلم عن قضية المرتدين وقصة الردة بعد موت الرسول ﷺ فإن الصحابة – رضوان الله عليهم – حكموا بكفرهم ، ولذلك عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – فى أول الأمر استشكل هذا المعنى فقال لأبى بكر : كيف تقاتلهم وهم يقولون لا إله الا الله محمد رسول الله ؟ قال : والله لأقاتلنهم إن مانعونى عقالًا كانوا يأدونه إلى رسول الله ﷺ

ولذلك أهل العلم يقولون : من امتنع عن أداء الزكاة بدون جحود ولكن بخلًا ولم يقاتل على منعها ليس بكافر

ومن امتنع عن أداء الزكاة وقاتل على منعها ، أى لما جاءه من يأمره بالزكاة قاتله ومانع فى دفعها فإنه كافر ، هذا قول من أقوال أهل السنة وهو الذى عليه الناس اليوم ،

وهناك قول آخر لأهل السنة أن من منع الزكاة فى أى صورة وفى أى حال فهو كافر هذه رواية عن أهل السنة والجماعة فى هذه المسألة ، فجعلوا الضابط الممانعة ،

ولذلك أبو بكر قال : لو منعونى عقالًا – أى ما تُربط به الإبل وتُعقل به الإبل قطعة حبل صغيرة تُعقل به الإبل حتى لا تترك - وفى رواية عناقًا – أى صغير الإبل - كانوا يأدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه

الأشعث بن قيس صحابى قدم إلى الرسول ﷺ هو وسبعون رجلًا من بنى كنده وكان من كبارئهم وأمرائهم وملوكهم قدم إلى الرسول ﷺ فى عام الوفود وأسلم وأعلن إسلامه مع الرسول ﷺ الأشعث بن قيس لما مات الرسول ﷺ امتنع من أداء الزكاة وكان فى حضر موت فقال له عامل الرسول ﷺ وصار من بعده عامل أبو بكر الصديق بن زياد أو زياد قال له : اعطِ ما كنت تعطيه واتقِ الله وإلا فإن أبا بكر سيأتيك بجيوش يقاتلك قال : أين نحن وأين أبو بكر ؟ أبو بكر فى المدينة ونحن فى اليمن أقصى الأرض كيف يأتينا ؟! قال : ستعلم ، وانقسم الناس فى حضر موت جهة الأشعث بن قيس إلى قسمين : فريق بقى مع عامل الرسول والذى صار بعد ذلك عامل أبي بكر ، وفريق امتنع عن أداء الزكاة كالأشعث بن قيس

ولم تمر فترة حتى جاءت الجيوش أبى بكر الصديق فسلَّم وكان فى حصن فأخذ العهد والأمان وسلم باقى الحصن ، قُتلوا قتلهم الجيش وهو وكم نفر أخذ لهم الأمان فقال : ما تصنعون بى ؟ أخذ الأمان لكم النفر هؤلاء ولم يأخذ الأمان لأهل الحصن ولم يأخذ الأمان لنفسه فأخذوه قالوا سنقتلك قال : لا انتظروا لا تقتلونى اذهبوا بى إلى أبي بكر هذا ملك من ملوك حضر موت الأشعث بن قيس أخذوه إلى أبى بكر الصديق فلما جاء عند أبى بكر الصديق مربوط مقيد قال له أبو بكر : ما ترانى أفعل بك ؟ قال تفك قيدى – الأشعث – ووالله إنى تبت ورجعت وما أعود إليها بعد ذلك وتزوجنى أختك أم فروة وأبقى عندك فى المدينة ، أبو بكر الصديق لما سمع هذا

هذا ملك من ملوك حضر موت هكذا يتكلم وكان جاء وأسلم معه سبعون رجل من كبار حضر موت ، قبل منه هذا ومكث فى المدينة طول أيام أبي بكر الصديق فى المدينة مع أبي بكر الصديق ، الأشعث بن قيس

رجل ثانى جاء إلى أبو بكر أيام الردة قال أنا أسلمت زودنى بسلاح وعتاد لأقاتل المرتدين اسمه الفجاءة السلمى أبو بكر أعطاه عتاد وقال له اذهب قاتل المرتدين ، فأخذ السلاح والعتاد من أبى بكر الصديق وصار يقطع طريق المسلمين لا يترك مسلم ولا كافر يمر به إلا ويضربه ويضربه بماذا ؟ يضربه بسلاح أبى بكر ويدعى للناس انه مرسل من أبى بكر وأنه مسلم

أبو بكر الخليفة وهذا يدعى أنه مسلم وهذا يقول انى الذى ارسلته وأنا الذى أعطيته السلاح أرسل وراءه ، فلما جاءه الجيش قال لهم أنا رسول أبو بكر أنا أمير مؤمر من أبى بكر قالوا له تعالَ نذهب بك لأبو بكر قالوا له ائتِ معنا نذهب بك لأبى بكر ، فأخذوه لأبى بكر ، فأبو بكر مسكه بيده وفى ساحة من الساحات بالمدينة وضعه وحرقه ، ندم أبو بكر فى آخر حياته من هذا قال : ليتنى قبلت منه توبته وتركته ، ويبدو أنه ما كان أبو بكر الصديق فى ذاك الوقت يعلم أن الرسول ﷺ نهى عن التحريق بالنار لم يكن يعلم الحديث

فهو فى آخر حياته ندم من هذا ، كما ندم أنه لم يقتل الأشعث بن قيس يقول : ليتنى قتلته ، يُخيل إلى أنه ما من فتنة إلا وهو ورائها ، دارت الأيام فتنة ابن الأشعث حفيد هذا الرجل عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الفتنة التى حصلت والخروج الذى حصل هذا حفيد هذا الرجل ، الشاهد أن الصحابة — رضوان الله عليهم — عاملوا أهل الردة مع شهادتهم أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله حكموا بأنهم كفار وقتلوهم لمَ ؟ لأن { الإيمان ليس بالتمنى ولا بالتحلى } ولأن الإيمان ليس بمجرد أنك تقول بلسانك لا إله الا الله محمد رسول الله ، والشيخ يشتكى من واقع مرير كان يعيشه ، أن هناك من كان يستنكر على علماء الدعوة أن يحكموا على هؤلاء بأنهم كفار ، قالوا كيف تقولوا كفار وهم يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله يقول هذا كحال أهل الردة هم يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله ولكن أتوا بناقض يناقض الإسلام

ولذلك جاء عن بعض السلف أن شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله هى مفتاح الجنة ولكل مفتاح أسنان فمن لم يأتِ بالمفتاح لا يفتح الجنة ، هذا مراد الشيخ رحمه الله ، مراده أن يبين أن لا تستنكروا قضية الحكم بكفر من لم يأتِ بالبراءة من الشرك وأهله تقولون هو يشهد أن لا إله الا الله نقول نعم هو يشهد ولكن أتى بما يناقضها ، لأن من معنى لا إله الا الله ومن لوازمها البراءة من الكفر وأهله ، ولذلك سيدنا إبراهيم ﷺ قال لقومه " إنا برءاؤ منكم ومما تعبدون من دون الله " والله

سبحانه وتعالى يقول " لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم " إذن لابد للإنسان أن ينتبه لهذه الحقيقة وهى حقيقة مغيبة أنه يظن أن مجرد شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله بدون الإتيان بمعناها ومع تلبسه وقيامه بما يناقضها مع القدرة وعدم المانع هو مؤمن ، لا يا أخى لا نحكم بإيمانك حتى تأتى بالمعنى الصحيح لشهادة أن لا إله الا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ

هذا آخر هذه الرسالة التى وسمها المصنف رحمه الله بقوله ست مواضع من السيرة النبوية وتلاحظون أن النقطة المحورية التى دارت عليها هذه المواطن الست هى قضية معاداة الكفار وبغضهم وأن البراءة من الكفر وأهله هى من أصل الدين وأن الإنسان لا يُحكم له بالإيمان حتى يحقق معنى البراءة من الكفر وأهله وسبق فى كلامنا فى أول الرسالة بيان معنى البراءة من الكفار وبيان المعنى الخطأ الذى يذكره بعض الناس فى البراءة من الكفر وذكرنا أن البراءة تنعقد فى القلب ويظهر لازمها وأثرها فى الجوارح .

تنبيه :

قصة حرق الصديق – رضى الله عنه – لفجاءة السلمى لا تصح :

قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٧٧٦/٢) : (١٢٩٩) طريفة بن حاجز

مذكور فيهم قَالَ **سيف بن عمر**: هو الذي كتب إليه أبو بكر الصديق في قتال الفجاءة السلمي الذي حرقه أبو بكر بالنار فسار طريفة في طلب الفجاءة وكان طريفة بن حاجز وأخوه معن بن حاجز مع خالد بن الوليد وكان مع الفجاءة نجبة بن أبي الميثاء فالتقى نجبة وطريفة فتقاتلا فقتل الله نجبة على الردة ثم سار حتى لحق بالفجاءة السلمي واسمه إياس ابن عبد الله بن عبد ياليل فأسره وأنفذه إلى أبي بكر فلما قدم به عليه أوقد له نارا وأمر به فقذف فيها حتى احترق

وقال ابن حجر العسقلانى في تهذيب التهذيب (٤/ ٢٩٥)

سيف بن عمر التميمي البرجمي

قال ابن معين ضعيف الحديث وقال أبو حاتم متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي وقال أبو داود ليس بشيء وقال النسائي والدارقطني ضعيف وقال ابن عدي بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها وقال ابن حبان يروي الموضوعات عن الاثبات قال وقالوا أنه كان يضع الحديث قلت بقية كلام ابن حبان اتهم بالزندقة وقال البرقاني عن الدارقطني متروك الحديث وقال الحاكم اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط